قال رسول‌الله صلی‌الله علیه و اله : قلب المؤمن اشد تغلباً من‌القدر فی غلیانها، و قال : قلت‌المؤمن بین اصبعین من اصابع الرحمن یقلبه و فی اثناء هذه المجاهدة قد یفسد المزاج و یختلط العقل و یمرض البدن ، و اذا لم تتقدم ریاضة النفس بالمعرفة ، و تهذیبها بحقایق العلوم ، نشبت بالقلب خیالات فاسدة یسکن الیها النفس طول العمر دون النجاح ، فکم من صوفی بقی فی خیال واحد عشرین سنة ، ولو کان قد اتقن العلوم من قبل ، لانفتح له وجه التباس ذلک الخیال فی‌الحال ، فالاشتغال بطریق التعلیم اوثق واقرب الی الغرض ، وزعموا ان ذلک یضاهی مالو ترک الانسان تعلم الفقه ، وزعم ان‌النبی صلی‌الله علیه و اله لم یتعلم ذلک ، ولکن صارفقیها بالوحی و الالهام ، من غیر تکریر و تعلیق و انا ایضا ربما انتهی بالریاضة الیه[۲۰] و من ظن ذلک فقد ظلم نفسه وضیع عمره ، بل هو کمن ترک طریق الکسب والحراثة رجاء العثور علی کنز من الکنوز ، فان ذلک ممکن ولکنه بعید جداً ، فکذلک هذا ، و قالوا : لابد اولا من تحصیل ما حصله العلماء و فهم ما قالوه ، ثم لا بأس بعد ذلک بالانتظار لما لم ینکشف لسائر العلماء ، فعساه ینکشف بالمجاهدة بعد ذلک ، انتهی .

۲۰ــ انتهت بی‌الریاضة و المواظبة الیه (احیاء)

المفتاح الخامس عشر

في شرح ماهية الانسان من مبدأ تكونها من العناصر و الاركان ، الى ان ينتهى قيامه عندالله الديان ، و شرح صفاته و مقاماته و منازل سفره و سلوكه من اخس المهادى الى اشرف العوالى ، و فيه ابواب :

الباب الاول

فى درجات تكونه على لسان اهل اليقين و فيه فصول

فصل

فى مادة خلقته

اعلموا اخوانى فى الدين ، واوليائى فى كشف اليقين، ان القران المبين كأنه نسخة شارحة لكمال الانسانى ، مبنية لمقامات هذا الخليفة الربانى، الظاهرة فى الحقيقة الجميعة المحمدية ، والفاتحة نسخة النسخة القرانية من غير اختلال ولانقصان ، فلابد للمعتنى بعلم القران ان يتعلم اولا معرفة الانسان و يأخذ فى العلم به من مبادى احواله و اسراره ، و اسباب اكوانه و مقاماته ، و منازل اسفاره و درجاته ، اذكل ماله مباد و اسباب و علل و ابواب ، فان تحقق العلم به والسلوك نحوه انما يحصل بمعرفة اسبابه و مباديه، والوقوف من اصوله و مبانيه ، و خصوصاً الشیء الذى يحصل هويته من كل شیء ، لكونه اول الاسباب الفاعلية الكونية نزولا ، و يكمل ذاته بكل شیء، لكونه اخر الاسباب الغائية الكمالية صعوداً ، فالانسان الكامل كأنه نسخة

مختصرة جامعة لجميع العوالم الكونية والعقلية و ما بينهما ، من عرفها فقد عرف الكل ، و من جهلها فقد جهل الكل شعر :

ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد
من كل شىء لبه و لطيفه مستودع فى هذه المجموعة

فنقول اولا : ان عناية‌الله لما لم يجز وقوفها عند حد لايتجاوزه ، فبقى امكان امور غير متناهية فى حدالعدم والقوة ، من غير ان يخرج الى‌الفعل، مع ان الجود غير متناه ، والقدرة غير محصورة على حد ، وكانت سلسلة البسايط الحاصلة بالفيض الاقدس منتهية الى ادناها منزلة واخسها مرتبة ، فاقتضت انشاء المركبات الجزئية ، القابلة للديمومة النوعية ، و ايجاد العايدات ، حتى بلغت الى نفوس عايدة اليه فى‌النشأة الثانية ، لانها القابلة للديمومة الشخصية كالجواهر العلوية ، فكأن الوجود دار على نفسه، وارتقى الى ما نزل منه ، ثم ان وجود العناصر تحت السماء معلوم بالمشاهدة ، وهى قابلة للتركيب ، كما ركبنا التراب بالماء وحصل منهما الطين ، و ركبنا الادوية و حصل منها المعاجين ، هذا فى المركبات الناقصة .

و اما المركبات التامة التى لايحصل الا بطبيعة اخرى فايضه من عندالله ، فلايتم تركيبها الا بكيفيات فعلية و انفعالية ، فلابد لها حرارة محللة مبددة ، و برودة جماعة مسكنة ، و رطوبة ذات انقياد للتشكيل ، و يبوسة حافظة لما افيد من التقويم و التعديل ، فجادت العناية بوجود هذه الكيفيات التى لابد لها من وجود طبايع متضادة الاوصاف ، و عناصر ساكنة فى الاطراف ، من اماكن متخالفة الاوضاع ، بعضها فوق بعض بحسب ما يليق بحالها من‌الخفة و الثقل ، مرتبة ترتيباً بديعاً، ومنضدة نضداً عجيباً، والسبب اللمى فى كون هذه‌العناصر قابلة للتركيب والتخليق ، متأتية غيرمتابية للجمع والتفريق ، ان هذه‌الاجساد لقصور جواهرها ، و خسة صورها ، وخلوها عن‌الحياة والروح فى الكون الاول ، غير تامة الخلقة ولامكتفية بذواتها ، فهى متهيئة للكون الثانى ، فان‌الاشياء كلها متوجهة نحوالكمال ، مشتاقة الى الاستكمال ، متحركة نحوالقرب من‌الله المتعال .

و اما السبع الشداد و ساير الاجرام العالية والاجساد الكوكبية ، فلتمام

صورتها، و قوة قواها، و وثاقة جواهرها، غير متأتية للتركيب والتكوين الثانی، ولها من الكمال و التمام ما يمكنها بحسب الفطرة الاولى عبادة الحق و طاعته من غير اكراه و اجبار، اذ الممكن لم يخلق هباء و عبثاً، بل لان يكون عابداً لله عايداً اليه، و متقرباً مما لديه زلفى، فالعناصر انما خلقت لقبول الحياة والروح، لكنها عند انفرادها قاصرة عن القبول، لاجل تضاد صورها بحسب الكيفيات، فلابد لها من الامتزاج المؤدى الى المزاج، وهو لتوسطه بين الكيفيات الاضداد كأنه خال عن التضاد، او بعيد عن الاطراف الموجبة للموت والفساد، فلهذا يكون معداً لقبول المادة العنصرية للحياة، فيستفيد المركب حياة ما على قدر توسطه و بعده من الاطراف، و قربه من الاجرام الكريمة الحية حياة ذاتية، فان لم يمعن فى التوسط والاعتدال، وهدم جانب التضاد، يقبل من العناية نوعا ضعيفا من الحياة، كالحياة النباتية التى لها بعض اثار الروح، بعد ان يستوفى درجات التراكيب الناقصة من الاثار العلوية، كالسحب والادخنة والمطر والثلج والطل والصقيع[1] والرعد والبرق والصاعقة، و درجات المعادن كالزيبق والزاج والملح والزرنيخ والبلور و ما يتولد منها، كالاجساد السبعة المتطرقة و كاليواقيت.

فصل

فى احوال النبات وقوى النفس النامية التى هى منزل من منازل الروح الانسانى

اعلم ان الحكمة الالهية فى تكون النبات، انه لما كان مزاج الجسم النامى اقرب الى الاعتدال من مزاج المعادن، و خطوته الى جانب القدس ادنى، و قد جرت سنة الله بان من دنى اليه شبراً قربه ذراعاً، فافاد له خلعة صورة كمالية لها قوة يحفظ بها شخصه كما للجماد، و قوة اخرى ليبقى بها نوعه، فوفى قسطه من البقاء لاستبقاء نوع ما وجب فساد شخصه، بقوة مولدة قاطعة لفضله من مادة خلقته، ليكون مبدأ لشخص اخر، ولما لم يحصل كماله الشخصى اول مرة، لكون مادته جزء منفصلا عن مادة شخص سابق عليه هو

١ـ اى البرد والجليد

مثله ، رتب له النامية الموجبة لزيادة فى الاقطار على نسب محفوظة لايقة ، ولما توقف فعل النامية على التعدى ، جعل لها الغاذية ، و جعل للغاذية خوادم من قوى اربع : جاذبة يأتيها بما يتصرف فيه ، وهاضمة محللة للغذاء ، معدة اياها لتصرف الغاذية ، و ما سكة يحفظها اياه لتصرف المتصرف ، ودافعة لما لايقبل المشابهة .

فهذه الصورة النباتية المسمى بالنفس فى النباتات ، و بالقوة النامية فى الانسان مع رؤسائها الثلاثة، وخوادمها الاربع، وجنودها الغير المحصورة، مما اعدها الله ، لان يكون مطيعة لك خادمة اياك فى علف دابتك التى هى القوة الحيوانية ، التى هى مطية سفرك الى الله .

و اما غذاؤك خاصة فهو ليس من باب صور الاجسام الغذائية ، بل من باب صور المعارف العقلية ، ولاغذية روحك قوة متصرفة فيها تجرد لطيفها العقلى من كثيفها الحسى بتجريدات اربع ، كمراتب الهضم فى المعدة والكبد والعروق والاعضاء ، و تلك التجريدات اولها الحس ، تجرد الصورة الكونية من المادة ، و ثانيها تجردها من عوارض المادة كالوضع والكيف دون التشخص ، ثم الوهم يجردها عن التشخص دون الاضافة التعلقية اليه ، ثم العقل تجردها عن جميع ما سوى الذات العقلية الكلية ، اللايقة لان يتغذى بها الروح العقلى ، فيستكمل بها ذاته و يعيش عيش الاخرة ، و يتخلص عن الهلاك الابدى ، فهذا باب من المعرفة ، فاعرفه فانه نفيس .

فصل

فى تكون القوة الحيوانية التى هى مطية للنفس الناطقة

اذا امتزجت العناصر امتزاجاً اتم من النبات ، قبلت من الواهب الحقيقى كمالا اشرف من نفس النامى ، و هى النفس الحيوانية ، و هذه النفس ينقسم قواها بعد استيفاء القوى النباتية الى مدركة و محركة ، والمحركة اما باعثة على الحركة، اوفاعلة لها، والباعثة هى المسماة بالشوقية ، المذعنة لمدركات الخيال او الوهم او العقل العملى بتوسطهما ، فان المحركات لقربها من عالم الجسم ابداً مطيعة للمدركات ، لقربها من عالم القدس ، فيحمل الادراك

لها على ان يبعث القوة الجسمية الى طلب او هرب بحسب السوانح ، ولها شعبتان : شهوانية باعثة على طلب وجلب للضروری ، او النافع تحصيلا للذة ، و غضبية حاملة على هرب و دفع للمضار ، تحصيلا للانتقام والتشفی ، ويخدمها قوی و جنود منبثة فی‌الاعصاب والعضلات ، من شأنها ان تشنج العضلات بجذب الاوتار والرباطات ، او ارخائها و تمديدها .

حكمة قرانية

و اعلم ان‌الله تعالى ملائكة فی‌الارض لاصلاح العباد بحسب نشأتهم الدنياوية ، كما ان له ملائكة اخرى بعضها فی‌السموات على مراتبها[٢] لاصلاح نفوسهم و نشأتهم الاخرة و بعضها مرتفعة عن التعلق بعالم الاجسام مطلقا ، و هم العاكفون فی حضرة القدس ، و منهم حملة العرش ، و من جملة ملائكةالله من و كلهم‌الله بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء و التولد و النماء ، فان كل جزء من اجزاء بدنك ، بل من اجزاء النبات لايغذى الا بان يوكل به سبعة من‌الملائكة لااقل ، فان معنى التغذی ان يقوم جزء من‌الغذاء مقام جزء قد تلف بعد استحالات كثيرة ، بان يصير دماً فی اخرالامر ، ثم لحما و عظما ، و جوهر الغذاء جسم ، والجسم لايتحرك ولا يتغير بنفسه الا بمحرك ، والطبع لايكفی فی ترددها فی‌اطوارها ،كما ان البر لايصير طحيناً ثم عجيناً ثم خبزاً مستديراً مطبوخا الا بصنايع ، و كذلك الدم لايصير لحماً و عظماً و عصباً الا بصناع ، والصناع فی‌الباطن هم الملائكة ،كما ان‌الصناع فی‌الظاهر ، هم اهل البلد ، وقد اسبغ‌الله عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ، فلاينبغی ان يغفل عن‌النعم الباطنة .

فاول هذه‌الملائكة السبعة عملا هو ملك لابد منه لجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم ، لما مر ان الغذاء لايتحرك بنفسه ، ولابد من ملك ثان[٣] يمسك الغذاء فی جواره ، ولابد من ثالث ينزع و يخلع عنه صورة الدم، ومن اربع يكسوه صورة العضو، ومن خامس يدفع الفضل، ومن سادس يلصق ما اكتست بصورة العضو حتى لايكون منفصلا ، و من سابع يرعى المقادير

٢ـ مراتبهم (ن م) ٣ـ ثانی (ن م ل)

فی الالصاق .

فان قلت : فهلا فوضت هذه الافاعيل الى ملك واحد ، ولم افتقرت الى سبعة املاك ؟

والحنطة ايضاً يحتاج الى من يطحن اولا ، ثم الى من يميز عنه النخالة و يدفع عنه الفضلة ثانيا ، ثم الى من تصب عليه الماء ثالثا ، ثم الى من يعجن رابعاً ، ثم الى من يدفعه كرات مدورة خامساً ، ثم الى من يرغفها رغفاناً عريضة سادساً ، ثم الى من يلصقها بالتنور سابعاً .

فهلا كانت افعال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهراً ؟

فاعلم ان خلقة الملائكة يخالف خلقة البشر، وكذا فی الفعل والاثر، و ما من واحد منهم الا و هو وحدانی الصفة ، ليس فيه خلط و تركيب البتة ، فلايكون لكل واحد منهم الافعل واحد ، واليه الاشارة بقوله : و ما منا الاله مقام معلوم[٤] فلذلك لم يكن بينهم تناقش و تقابل ، بل مثال الملائكة فی تعيين مرتبة كل منهم و فعله عليه مثال الحواس الخمس ، فان البصر لايزاحم السمع فی ادراك الاصوات ، ولا الشم فی ادراك الروائح ، ولاالشم يزاحمهما ، ولا هی يزاحم الطعم واللمس ، ولا بعضها لبعض فی ادراكاتها ، و ليست هی كالاعضاء مثل اليد والرجل ، فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشاً ضعيفاً فتزاحم به اليد ، وقد تضرب غيرك برأسك ، فيزاحم به اليد التی هی الة الضرب ، ولاكالانسان الواحد الذی يتولی بنفسه الطحن والعجن والتنور و الخبز ، فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل ، سببه اختلاف صفات الانسان و اختلاف دواعيه ، فانه ليس وحدانی الذات ، فلم يكن وحدانی الفعل ، و لذلك تری الانسان الواحد يطيع الله مرة ، و يعصيه اخری ، لاختلاف دواعيه و صفاته و نشأته ، و ذلك غيرممكن فی طبايع الملائكة ، و فی هذا المقام سر اخر ليس هاهنا موضع الاشعار به .

و بالجملة الملائكة مجبولون علی الطاعة ، معصومون عن المعصية ، لامجال للعصيان فی حقهم ، فلا جرم لايعصون الله ما امرهم و يفعلون ما

٤ــ صافات ١٦٤

يؤمرون[٥] يسبحون الليل والنهار لايفترون[٦] فالراكع منهم راكع ابـداً ، والساجد منهم ساجد ابدا ، والقائم منهم قائم ابداً ، لااختلاف فى افعالهم، ولافتور ولااعياء ولالغوب ، وطاعتهم‌لله بوجه يشبه طاعة اطرافك بـل حواسك لك ، فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان ، لم يكن للجفن الصحيح تردد و اختلاف فى طاعتك مرة و فى معصيتك اخرى ، بل ينفتح و ينطبق بمحض اشارتك ، الا ان الجفن لاعلم‌له بما يصدر منه من الحركة ، والملائكة العلوية احياء عالمون بما يفعلون ، وكذا الملائكة على قدرحالهم و اتصالهم بتلك العلوية ،كاتصال الحس بالخيال ، والخيال بالعقل .

تذكرة

فللحركات الاختيارية مباد مترتبة ، ابعدها عن عالم الحركات والمواد الخيال ، او الوهم بتوسطه ،او ما فوقهما بتوسطهما ، ثم القوة الشوقية و ما بعدها ، كالفاعلية والمميلة ، و قبل الفاعلة قوة اخرى فى بعض الحيوانات الشريفة كالانسان و ما يتلوه ، يسمى بالارادة او الكراهة العقلية او النفسانية على تفاوت مراتبها .

اشارة مشرقية

الحركات الطبيعية كالحركات الاختيارية فى ان لها مباد مترتبة، بعضها من عالم العقل والتأثير ، و بعضها من عالم النفس والتدبير، و ادناها من عالم الطبيعة والتسخير ، و الكل بقضاءالله والتقدير ، والفارق بين تحريكات الحيوان و بين غيرها : ان فى الحيوان ارادة متفننة حسب دواع و قوى مختلفة ، لتركبه من الاخلاط والعناصر المختلفة ، و ارادة غيره على نظام واحد لبساطته ، و هكذا حكم النبات ، و ان كان فيه تركيب اجسام مختلفة ، الا ان لقواها غرضاً واحداً ، لاحاجة لها وافرة الى اسباب خارجة عن ذاتها ، و دواع مختلفة خارجة عن قصدها .

٥ـ تحريم ٦ ٦ـ انبياء ٢٠

حكمة ربانية

الحكمة فى وجود هذه القوى من لدن الطفها الى اكدرها

اما فى الحيوان بما هو حيوان ، فللمحافظة على الابدان بحسب كمالها الشخصى والنوعى من الهلاك والتلف ، لانها لمنافع الانسان من الحمل والركوب والزينة ، لقوله تعالى : والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة[٧] .

و اما فى الانسان فهذه المحافظة بحصة الحيوان ، مع ما يتوسل بها الشخص الى اكتساب الخير الحقيقى والكمال الابدى والسعادة الاخروية فى الدار الحيوانية ، فالعناية الالهية جعلت فى جبلة الحيوانات داعية الجوع والعطش ، كيلا تدعو نفوسها الى الاكل والشرب ، ليخلف بدلا عما يتحلل ساعة فساعة من البدن الدائم التحلل والذوبان ، لاجل استيلاء الحرارة الغريزية عليه ، الحاصلة فيه من نار الطبيعة الكامنة فى مركبات هذا العالم ، شأنها النضج والتحليل ، كمثال نارا لجحيم فى قوله تعالى : كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها[٨] وجعلت لنفوسها ايضاً الشهوة والغضب ، والراحة والتعب ، و الالام و الاوجاع عند الافات العارضة لابدانها و غير ذلك ، لتحرض النفوس على حفظ الابدان من الافات ، و ادامتها مدة من الاوقات الى اجل معلوم .

فصل

فى الحواس الظاهرة والباطنة

ثم خلق الله للحيوان ايضاً قوى اخرى ادراكية و هى اشرف من التحريكية ، لانها اشد نفسانية منها ، ليميز الملايم عن المنافر ، والنافع عن الضار ، فيطلب أحدهما بالشهوة والاخر بالغضب ، عناية من الله على عباده للحيوة الدنيا ، التى هى طريق الاخرة ، و هى منقسمة الى ظاهرة مشهورة ، و باطنة مستورة ، اما الظاهر فهى خمس : اللمس والذوق والشم والسمع والبصر ، والاخيران الطف هذه الحواس ، كاد ان يكون مدركاتها خارجة

٧ـ نحل ٨ ٨ـ نساء ٥٦

عن عالم المادة والحركة ، والكلام فى ان ايهما اشرف طويل ، و حاجة الحيوان الى الحواس من جهة الحركة لتحصيل الغذاء ، و لهذا يكون الحركة فى الحيوان اشرف من الادراك ، شرف الغاية على ذى الغاية ، واما الانسان فحاجته اليها لاجل العلوم العقلية المنتزعة من الحسيات ، و لهذا قيل : من فقد حساً فقد علما ، فالادراك فى الانسان اشرف من الحركة ، لانه غايتها .

فانظر الى ترتيب حكمةالله فى خلق الحواس الخمس التى هى الة الادراك ، فاولها حاسة اللمس ، و انما خلقت لك حتى اذا مستك نار محرقة او سيف جارح ، تحس به و تهرب منه ، و هذا اول حس يخلق للحيوان ، ولا يتصور حيوان الا و له قوة اللمس ، لانه لو لم يحس اصلا فليس بحيوان ، و انقص درجات الحس ان يحس بمايلاصقه و يماسه ، فا نالاحساس بما يبعد منه احساس ، اتم لا محالة ، و الجامع للاتم جامع للانقص كما برهن عليه، ويظهر من قاعدة الامكان الاشرف ، فهذا الحس موجود لكل حيوان ، لان تركيبه من عناصر ذوات اوايل الكيفيات الملموسة ، و قوام الشىء من جنس ما يدرك منه ، حتى الدود التى فى الطين و تسمى بالخراطين ، فانها اذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب لاكالنبات ، فانه اذا قطع لا ينقبض ، اذ لا يحس بالقطع ، و ان كان للنبات بل الجماد ادراك على نمط اخر يعرفه المكاشفون، و يحجب عنه المترسمون ، الا انك لولم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصاً كالدود ، لا تقدر على طلب الغذاء من مكان يبعد عنك ، فافتقرت الى حس اخر تدرك به ما بعد عنك، فخلق لك الشم ، الا انك تدرك الرائحة ولا تدرى من اى ناحية جائت ، فتحتاج الى ان تطوف كثيراً من الجوانب ، فربما تعثر على الغذاء الذى شممت رايحته و ربما لم تعثر ، فتكون فى غاية النقصان لولم يخلق فيك الا هذا ، فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك ، و تدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها ، الا انه لولم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا، اذ لاتدرك بهذا ماوراء الجدران و الحجب و فى الظلمة ، و قد لاينكشف الا بعد قرب العدو والمهروب عنه ، فتعجز حينئذ عنالهرب ، فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من وراء الجدران ، و فى الليالى المظلمة عند جريان

الحركات، ولانك لاتدرك بالبصر الاشيئاً حاضراً، و اما الغايب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف واصوات تدرك بحس السمع، فاشتدت اليه حاجتك، فخلق لك ذلك، و ميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات، و كل ذلك ما كان يغنيك[٩] لولم يخلق فيك حس الذوق، انه قد يصل الغذاء، فلا تدرك انه موافق لك اومخالف، فتأكله فتهلك، كالشجرة تصب فى اصلها كل مايع، ولا ذوق لها فيجتذبه، و ربما يكون ذلك سبب جفافها، ثم كل ذلك لا يكفيك لولم يخلق فيك ادراك اخر تسمى حسا مشتركا، موضعه مقدم الدماغ، اذ يتأدى اليه مثل هذه المحسوسات الخمس و يجتمع فيه، ولولاه و ما بعده من الحافظة والواهمة والمتصرفة والذاكرة لطال الامر عليك، و هذا كله يشاركك فيه الحيوانات، فلولم يكن فيك الا هذا، لكنت ناقصاً كالبهيمة، لعدم ادراكك عواقب الامور كبواقى الحيوانات، فميزك واكرمك و فضلك على كثير من خلقه تفضيلا بصفة اخـرى هى اشرف من الكل، هو العقل الذى يدرك منافع كل شيء و مضاره بحسب الحال والمال جميعا، و الله ولى الافضال.

فصل

الاشارة الى الحواس الباطنة

و هى خمسة، لكنها ثلاثة اقسام: مدرك و حافظ و متصرف، والقسم الاول اما مدرك للصور، و اما مدرك للمعانى، وكذا الثانى فمدرك الصور يسمى بالحس المشترك و بنطاسيا فى لغة اليونان، اى لوح النفس، و هى قوة متعلقة بالتجويف الاول من الدماغ، ولولاها ما يمكـن الحكم لنـا بالمحسوسات المختلفة دفعة، ولا امكنت مشاهدة النقطة الجوالة لسرعة دايرة، والقطرة النازلة خطاً مستقيماً، فهذا احد الدلائل على وجودها، لان المشاهدة بالبصر ليست الا للمقابل، و ما قابل منهما الانقطة و قطرة، و حافظها قوة يسمى بالخيال، والمصورة تعلقها باخر التجويف الاول، يجتمع عندها مثل المحسوسات، و ان غابت موادها عن الحواس غيبة طويلة، فهى

٩ــ يعينك (ن ل)

خزانة المحسوسات، ولها خطب عظيم، و لنا فى تجردها عن هذا العالم برهان عرشى، و قيل فى تغاير هاتين القوتين : ان قوة القبول غير قوة الحفظ، فرب قابل غير حافظ، ولان القبول انفعال، والحفظ فعل، فهما متغايرتان، و منه الوهم الرئيس للقوى الادراكية للحيوان، كالشوقية للقوى التحريكية له، و اخص مواضعه اخر التجويف الاوسط من الدماغ، و منه القوة الذاكرة و المسترجعة، و هى قوة فى اخر تجاويف الدماغ، يحفظ ما يدركه الوهم اويذعنه، نسبتها اليه نسبة المصورة الى الحس المشترك، و نسبة هاتين الى عالم النفس، كنسبة القلم واللوح الى عالم الانسان الكبير، و اما المتصرف فله تركيب الصور بعضها ببعض، اوتركيب المعانى كذلك، اوتركيب احد القبيلين بالاخر، و له الفعل و الادراك، الفعل له بذاته، والادراك لمستعمله الذى هو تمام، فاندفع اشكال صاحب التفسير الكبير، فان المتصرف لابد له من ادراك، فيزيد به عدد الحواس الباطنية عن الخمس.

و اعلم ايضاً ان وحدة الذاكرة اعتبارية، لتركب الذكر من فعل قوتين، ادراك لاحق، و حفظ سابق، و كذا المسترجعة لتركب فعل الاسترجاع من ادراك و حفظ و تصرف بالمراجعة الى الخزانة فى تفتيش، فلا يزيد عدد الباطنيات على الخمس كما ظنه هذا الفاضل، وهذه القوة متخيلة فى الحسيات و متفكرة عند استعمال العقل اياها فى العقليات، و موضعها فى التجويف الاوسط عند الدودة، و لكل من هذه القوى الة من روح دماغى مختص بها، و هوجرم حار لطيف نورانى حادث عن صفو الاخلاط الاربعة، كما البدن عن كدرها، شبيه فى الصفاء واللطافة بالفلك الخالى عن التضاد، الكائن فوق العناصر القابلة للفساد والافساد، ولذا يحمل القوى المدركة والمحركة كالفلك يقبل اثار العقول و النفوس و انما يهدى الناس الى اختصاص كل قوة بالة معينة، اختلالها عند تطرق الافة التها، والدليل على تغايرها و تعددها بقاء بعض دون اخرى.

و قد اصاب ابوعلى شيخ الفلاسفة فى الشفا حيث قال : يشبه ان يكون القوة الوهمية هى بعينها الحاكمة، فيكون بذاتها حاكمة، و بحركاتها و افاعيلها متخيلة و متذكرة، فيكون مفكرة بما يعمل فى الصور و المعانى، و

متذكرة بما ينتهى اليها عملها ، هذا ما قاله و اخطأ من الناظرين فى كلامه، من ظن انه شاك متردد فى امر القوى ، والناظر لم يفهم غرضه ، اذ مراده: ان للوهم رياسة على هذه القوى ، و هى جنوده و خدمه .

سر مشرقى

ثم ان فى المقام سر اخر ، عرفه من عرف نسبة كل عال الى سافله بضرب من الاتحاد وضرب من التغاير، كالنفس الناطقة ، و ان كانت جوهراً عقلياً من عالم اخر ، فلها نحو من الاتحاد بقواها و فروعها و جنودها مع انها بدنية ، فتجسمها فى وجودها البدنى لاينافى تجردها من المواد كنها فى وجودها المفارقى الذى هو غيب غيوبها ، فلها تارة تفرد بذاتها عند باريها، ولها ايضاً نزول الى درجة القوى والالات من غير نقص يعتريها ، بل تزيدها كمالا و جمعية ، فمن شبهها كاخوان جالينوس والجرمانيين ، فما عرفها حق معرفتها ، و من جردها بالكلية من غير تجسيم و نزهها من غير تشبيه ، فنظر اليها بالعين العوراء كالرهابين و فلاسفة الهند ، المعطلين لها عن فعل التحريك والتدبير ، كالجذب والدفع والشهوة و الغضب والتغذية والنمو والتوليد و حفظ المزاج ، فمارعوها حق رعايتها ، وكلا الفريقين ينظران بالعين العوراء ، والكامل المحقق من له عين صحيحة ينظر بها الى تطابق النشأتين ، فلا يحجبه نشأة عن نشأة ، فيعرف احكام كل منهما و يعلم سر العالمين .

الباب الثانى

فى احوال النفس و فيه فصول

فصل

فى لجوهر النفس الحيوانية المشتركة بين الانسان و غيره

اعلم ان النفس بما هى نفس ليست بجرم من الاجرام ، لان الاجرام كلها متساوية فى الجرمية ، فلو كانت النفس جرما فقط لكان كل جرم ذا

نفس ، و ليس كذلك ، فكون الجرم ذا نفس ، لابد و ان يكون بامر غير الجرمية المشتركة ، و ليست النفس ايضاً صفة جسمانية كمزاج ، او كيفية اخرى اوعرض اخر من الاعراض ، اذ وجودها متأخر عن وجود الجوهر، فمحل تلك الاعراض اولى بان يكون هوالنفس ، و ايضاً لوكانت مزاجا و علمت انهمن جنس الكيفيات الاربع، لكان صدور افاعيل الحيوة قبل انكسار سورتها اولى ، اذ ليس فيه الا توسط مقتضيات البسايط العنصرية ، و ايضاً كيف يكون النفس مزاجاً و يتحفظ بها المزاج فى المتضادات المتداعية للانفكاك ، التى تجبرها للالتيام ، و ايضاً انه يمانعها فى كثير من الامر، عن التحريكات اوعن جهتها ، فالنفس تريد الحركة ، و هو يقتضى السكون ، او يريد هى الميل الى جهة العلو ، و هو يقتضى التسفل[١٠] و ايضا المزاج يتغير عنداللمس الى ضد مزاج اللامس ، والا فلا انفعال فلا احساس ، فالمعدوم فى حال عدمه كيف ينال شيئاً ، وليست ايضا بصورة طبيعية جسمانية ، لما اقيم البرهان المشرقى على : ان كل طبيعة جرمانية فهى سيالة ، بذاته متجددة الحدوث والزوال ، والنفس علمت ذاتها باقية ، فلايكون جرما ولاجرمانية، و هذا منالعرشيات الالهامية على تجرد النفوس الحيوانية الشاعرة بذاتها ، المتذكرة لها ، اللهم الا فى الحيوان الذى لم يكن بقاء ذاتها معلوما .

فصل

فى البرهان المشرقى على هذاالمطلب

قد الهمنا الله بفضله واحسانه برهانا مشرقيا علىتجرد النفس الحيوانية، التى لها قوة التخيل عن مواد هذا العالم و عوارضها ، بانهاذات قوة تدرك الاشباح والصور المثالية ، و الادراك عبارة عن حصول الصورة عند المدرك، سواء كان فى ذاته او فى قوة من قواه ، ثم ان تلك الصور المتمثلة لدى المتخيلة ليست منذوات الاوضاع الحسية التىتقبل الاشارة بانها هنا اوهناك، و كل صورة جرمانية فى هذا العالم ، فحصولها اما فى السماء او فىالارض او فى جهة من الجهات و حيز من الاحياز ، فتقبل الاشارة الحسية بانها هناك

١٠ـ السفل (ن م ل)

او هاهنا ، فالصور الخيالية ليست في مواضع هذا العالم ، ولا يمكن لاحد ان يقصد اويعين موضعها ، فهى اذن فى عالم اخر خارج عن هذا العالم بالجوهر و المعنى ، لا بالمسافة والوضع ، فموضعها التى قامت به او حضرت عنده كذلك ، فلو كانت القوة الخيالية حالة فى مادة من مواد هذا العالم ، كدماغ اوقلب اوعضو اخر اوجسم غيرها ، لكانت الصور القائمة بها ، قابلة للاشارة الحسية ، اما بالذات او بالعرض ، و بطلان التالى ظاهر ، لا ينكره الاجاحد اوناقض فاقد الوجدان ، و هو يستلزم بطلان المقدم ، و اما الملازمة فهى بينة، و اما تعيين موضع من مواضع الدماغ للادراك الباطنى ، فهو بمجرد الاعداد و جهة المناسبة لظهور بعض المغيبات ، فان المواد البدنية و تحريكاتها مما تهيىء النفوس من عبور هذا العالم الى عالم اخر اليه مرجعها .

حكمة قرانية

النفوس من حيث نفسيتها نار معنوية من نارالله الموقدة التى تطلع على الافئدة[11] و لهذا خلقت من نفخة الصور ، فاذا نفخ فى الصور المستعدة للاشتغال ، تعلقت بها شعلة ملكوتية نفسانية ، والنفس بعد استكمالها و ترقيها الى مقام الروح ، تصير نورها ناراً مؤصدة فى عمد ممددة[12] .

حكمة اخرى قرانية

النفخة نفختان ، نفخة تطفى النار و نفخة اخرى تشعلها ، فوجودالنفس و بقاؤها من‌النفس الرحمانى ، و هو انبساط الفيض عن مهب رياح الوجود، و كذا زوالها و فناؤها ، و تحت هذا سر اخر عظيم ، فعلم ما ورد فى لسان بعض الاديان السابقة : ان النفس ناراً و شراً و هواء ، لايجب ان يحمل على المجازفة والتخمين ، و كذا الحال فيما صدر عن صاحب شريعتنا الحقة.

۱۱ــ همزه ۷ ۱۲ــ همزه ۹

فصل
فى بعض احوال الحيوانات و الاتها و قواها، التى خلقهاالله لمنافعها و مصالحها

ان من الحيوان مايحتاج الى تنفس و ترويح الحرارة من الهواء كالانسان ، و منه ما يضطر الى استنشاق الماء كالحيتان ، و منه مالاحاجة له الى شىء من ذينك ، فاعدالله لكل منها الات و قوى لخاص افاعيلها ، فيختلف الحيوانات بحسب الاعضاء والادوات و اوضاعها و احوالها و قواها و مشاعرها و مداركها ، و كل حيوان شحيم ذى ثرب[١٣] فدماغه دسم[١٤] و مالا شحم له فلا دسومة لدماغه و ذو الاذن ولود غالباً ، و ما ليس له اذن ظاهر متكون فى الاغلب عن البيضة ، و من الحيوان مالا يتغذى مدة و يكون مع ذلك فى غاية السمن و القوة ، كالدب فى الشتاء والقنفذ[١٥] و من الحيوان ما يغتذى من الحيوان فقط او بالنبات فقط ، و منه ما يغتذى منهما ، والغذاء ينهضم و يستحيل الى مايشابه المغتذى ، بحسب صورة كل عضو عضو ، و[١٦] للهضم فى الحيوانات الكاملة اربع مراتب كما مرت الاشارة اليه ، و ينفصل فى كل مرتبة فضله .

اولها للهضم الاول الذى فى المعدة او ما يقوم مقامه ، و هو البراز ، و ثانيها للثانى الذى يكون فى الكبد او ما يجرى مجراه ، و هو البول ، وثالثها للثالث الذى فى العروق ، و هو العرق ، و رابعها للرابع الذى يكون فى الاعضاء و هو المنى ، و يدفعه الطبيعة ، بل النفس باستخدامها الى الانثيين، و يستحيل هناك الى البياض ، ويستقر فى الرحم ويتولد منه الولد باستحالات مختلفة ، فيكون نطفة ، ثم علقة بعد ما يحصل فيه نقط دموية ، ثم مضغة، و القلب هوالرئيس المطلق للاعضاء ، كما ان النفس هى الرئيسة المطلقة للقوى ، اول ما يتكون ، و اخر ما يبقى ، و الاعضاء الرئيسة هى القلب

١٣ـ اى الشحم الرقيق الذى على الكرش والامعاء.

١٤ـ اى ذومادة دهنية .

١٥ـ دويبة مغطى بريش حاد (جوجـه تيغى ـ خارپشت)

١٦ـ كل عضو و (ن ل)

والدماغ و الكبد والانثيان ، والمعدة من الاعضاء الشريفة دون الرئيسة كما قيل ، و ذهب معلم الفلاسفة الى انه ليس للمرأة منى بالحقيقة ، و ان مائية المرأة ليس فيها قوة مولدة بل متولدة ، والتوليد يحتاج الى قوتين ، وخالفه فى ذلك جالينوس .

هداية

انظر الى حكمة الصانع البديع ، كيف خلق الحيوان بل الانسان من نطفة من ماء مهين ، ثم خلق علقة ثم خلق مضغة ثم عظما ثم لحما ، ثم خلقا اخر بنشات ذات اطوار متنوعة لغرائب الاثار ، ثم منحه قوى بها يلج ملكوت السموات والارض ، و هى المشاعر الظاهرة والباطنة ، و ايد الاولى بما اشرق عليه من اضواء الجواهر العلوية الجسمانية ، كما ايد الثانية بما اشرق من انوار الجواهر العلوية الروحانية ، ففلق اصباحهما فى الليل البهيم ، و حلى لها صور الملك والملكوت فى احسن تقويم ، فسبحان من خلق النور و ابصر النور ، و هدى بالنور الى النور .

تبصرة

ان القوى والطبايع تحاكى بافعالها صفاتها ، و باثارها ذواتها ، فالبصر من جنس الالوان والانوار ، والسمع من جنس الاصوات والنغمات ، والذوق والشم من جنس الطعوم والروايح ، و هكذا فى سائر القوى ، والخيال من جنس عالم الغيب ، و سعادة كل قوة بادراك ما يماثلها ، و شقاوتها بادراك ما يضادها ، والصحة صفة موجبة لسلامة افعال موضوعها ، و مقابلها المرض المنقسم باقسامه الى البدنية و النفسية ، و لكل من الكل فى الليس والايس اسباب و معدات، ومرض القلب رذائل خلقية، مظلمة مضلة حاجبة عن اشراقات لوامع نورية حالية على قوابل ، خالية صافية كما قال الله تعالى : الامن اتى الله بقلب سليم[١٧] فمن تكيف ذوقه بادراك المرارة او البشاعة[١٨] كاهل الجدل والخلاف ، تعسر عليه ادراك حلاوة الايمان شعر :

١٧ـ شعراء ٨٩
١٨ـ اى قبيح وردىء

فمن يك ذا فم مـر مـريض يجد مراً به الماء الـزلالا
و فی قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا و لهم عذاب اليم[19] .

تمثيل و ارائة

افاضة الشمس متشابهة مختلفة ظهوراً و نوراً ، في قوابل مختلفة جلاء وصفاء، وربما ترى اعماق الزجاجات منورة بالوان شتى، وسطوح الزجاجات[20] ملونة منقشة بنقوش تترى ، مناسبة للوسائط ، مشابهة للروابط .

الباب الثالث

فی تکون الانسان و قوی نفسه، التی هی من کلمة الله الواردة من امر الرحمن، وفيه فصول:

فصل

فی تکونه

ان العناصر اذا صفت و امتزجت امتزاجا قريباً من الاعتدال جدا ، و سلکت طریقا الی الکمال اکثر مما سلکه الکائن من النبات و الحيوان ، و قطعت من القوس العروجية اکبر مما قطعته ساير النفوس ، اختصت من الواهب بالنفس الناطقة، والمستخدمة لسائر القوى النباتية والحيوانية، فان زيادة الكمال على حسب زيادة الصفاء والاعتدال، فاذا بلغت المواد بامزجتها غاية الاستعداد ، و توسطت غاية التوسط من الاطراف ، الممعنة[21] فی التضاد، فاعتدلت و تشبهت بالسبع الشداد ، الخالية عن التفاسد البعيدة عن الاضداد، استحقت من واهبها الجواد لقبول فيض اکمل و جوهر اعلى و اشرف من هذه النفوس والصور ، فقبلت من التأثير الالهی ما قبلته الجرم السماوی و العرش الرحمانی، من قوة روحانية مدركة للكليات العقليات بذاتها ، و الجزئيات الحسيات بقواها و الاتها ، متصرفة فی المعانی ، سالكة الى سبيل الله

۱۹ـ بقره ۱۰ ۲۰ـ الرخامات (ن م)
۲۱ـ الممنعة (ن م)

الحق الاكبر.

و قد عبر فى القران المجيد عن تعديل المزاج المذكور بالتسوية، تشبهاً بتسوية جوهر المراة و تصقيل وجهها على وجه تقبل العكس، و من افاضة نور النفس عليها بالنفخ، فى قوله تعالى: فاذا سويته و نفخت فيه من روحى[٢٢] فالنطفة الانسانية عند تمام الاستواء و الاعتدال يستحق باستعدادها نفساً يدبرها، و يفيض عليها الروح البشرى من جود الجواد الحق الواهب لكل مستحق ما يستحقه، فالتصفية فيها عبادة عن الافاعيل و الاحالات المرددة لاصل النطفة فى الاطوار، السالكة بها الى صفة الاستواء و الاعتدال، هذا بحسب النشأة الاولى للانسان، و لك ان تعلم منه و مما سيجىء قياس النشأة الثانية للروح الانسانية، فانه عند تسوية صفات النفس و تعديل ملكاتها و اخلاقها فى اوان الاربعين، يستحق لفيضان الروح الالهى الذى هو من امر الله و كلمته، و الروح الالهى الامرى غير الروح البشرى النفسانى، و اطلاق التسوية و النفخ و الروح فى كل نشأة و طور بمعنى اخر، الا ان النشات متحاذية متطابقة، تطابق الظاهر مع الباطن، و البدن مع النفس.

و النفس فى الحقيقة نور من انوار الله المعنوية، من الله مشرقها، و مغربها الى هذا القالب المظلم، و قد حدها الحكماء حداً بحسب الاسم، بانها: كمال اول لجسم طبيعى الى ذى حياة بالقوة، من جهة ما يدرك الامور الكلية، و يفعل الافعال الفكرية.

فصل

فى ان لنفس الانسان قوتين

اذا عرفت حدها المذكور، علمت انها جوهرة روحانية حية بذاتها، فاذا قارنت جسما من الاجسام صيرته مثلها، كالصورة النارية، فانها جوهرة حارة، فاذا جاورت جسماً من الاجسام صيرته حاراً مثلها، و علمت ايضاً ان للنفس قوتين: علامة و فعالة.

فاما الفعالة فهى بقوتها العلامة تنزع رسوم المعلومات من هيولاها

٢٢ـ حجر ٢٩

و تصورها ، كملك الموت ينزع الارواح من الاجساد و يصعد بها الى عالم الاخرة ، فيكون ذات جوهرها لتلك الصورة كالهيولى، و هى فيها كالصورة، و بقوتها الفعالة يخرج الصور التى فى فكرها و ينقشها فى الهيولى الجسمانية كالمادة البدنية لها، فيكون الجسم عند ذلك مصنوعاً لها، الة فى سائر افاعيلها.

و اما العلامة فهى التى تقبل النفس بها صور المعارف و المعقولات مما فوقها و يتعلمها ، و كل من تعلم علماً فان صورة المعلوم كانت اولا فى نفسه بالقوة ، فاذا تعلمه صارت فيها بالفعل ، والتعلم ليس الاسلوك الطريق من القوة الى الفعل ، والتعليم ليس سوى الدلالة على الطريق ، والاستاذون هم الادلة ، وتعليمهم هم الدلالة والهداية الى الصراط المستقيم، الى المطلوب المدلول عليه .

فثبت ان للنفس باعتبار ما يخصها من القبول عما فوقها والفعل فيما دونها قوتان : علامة و عمالة ، فبالاولى تدرك التصورات والتصديقات ، و يعتقد الحق والباطل فيما يدرك و يعقل ، و يسمى بالعقل النظرى ، و هو من ملائكة جانب اليمين ، و بالثانية يستنبط الصناعات الانسانية ، و يعتقد القبيح والجميل فيما يترك و يفعل ، و يسمى بالعقل العملى ، و هو من ملائكة جانب الشمال، وقد اشير اليهما فى الكتاب الالهى : و جاءت كل نفس معها سائق و شهيد[٢٣] و بالسائق يستعمل الفكر والروية فى الافعال والصنايع ، **مختارة** للخيراومايظن خير، اولها الجربزة والبلاهة ، والتوسط بينهما المسمى بالحكمة ، و هى من الاخلاق ، و الاشتراك لفظى بينها و بين الحكمة التى من العلوم الكلية ، المنقسمة الى الحكمتين ، فانها كلما كانت اكثر كانت افضل، و هذه القوة مطيعة للاولى ، مستمدة بها فى كثير من الامور ، و يكون الرأى الكلى عند النظرى ، والرأى الجزئى عند العملى ، المعد نحو المعمول .

فصل
فى الاشارة الى قواه العملية

ان للانسان من بين الاكوان خواص ولواحق عجيبة ، و اخص خواصه

٢٣ـ ق ٢١

تصوره واحضاره معانى المجردة من المواد الحسية كل التجريد ، والتوصل الى معرفة المجهولات العقلية من المعلومات بالفكر والروية ، و له ايضاً بعقله العملى تصرف فى امور جزئية ، و تصرف فى امور كلية ، والثانى لحصول اعتقاد فقط ، من غير ان يصير سببا لفعل دون فعل الا بضم اراء جزئية ، فاذا حصل الرأى الجزئى ، يتبع حكم القوة المروية قوى اخرى فى افعالها البدنية من الحركات الاختيارية ، اولاها القوة الشوقية ، و اخيرتها الفاعلة لحركة العضلات بالمباشرة ، و كل هذه يستمد فى الابتداء من القوة المتصرفة فى الكليات ، باعطاء القوانين و كبريات القياس فيما يروى ، كما يستمد من التى بعدها فى صغريات القياس والنتيجة الجزئية ، وقد مران للنفس الانسانية قوتين : نظرية و عملية ، فتلك للصدق والكذب ، و هذه للخير والشر ، و هى للواجب والممتنع والممكن ، و هذه للجميل والقبيح والجائز ، فلهما رأى و ظن فى العقليات ، و شدة و ضعف فى الفعليات .

والعقل العملى يحتاج فى افعاله كلها الى هذا البدن الدنيوى الا نادراً ، كاصابة العين و نحوها من النفوس الشريرة ، لقوتها و شيطنتها ، و اما صدور الخوارق للعادة و الكرامات من المتجردين الكاملين ، فلكونهم فى مقام اخروى .

و اما النظرى فله حاجة اليه ابتداء لا دائما ، بل قد يكتفى بذاته كما فى النشأة الاخرة ، ان كان الانسان من صنف الاعالى و المقربين ، و ان كان من اصحاب اليمين فمبدأ افاعيله و تصوراته العقل العملى ، و به يكون سعادته فى الاخرة ، لما سيظهر لك ان الجنة و اشجارها و انهارها و حورها وقصورها وسائر الامثلة الجنانية التى وعد المتقون، منبعثة من تصورات النفس الجزئية وشهواتها ودواعيها كما قال سبحانه ولكم فيها ماتدعون[٢٤] وقوله: فيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين* وان كان من اصحاب الشمال فكذلك القياس فيه من كون عقله العملى منشأ للتعذب بما يجترحه و يكتسب بيده من حميم وزقوم و تصلية جحيم ، فجوهر النفس مستعد لان يستكمل ضرباً من الاستكمال، و يتنور بذاته و مافوق ذاته بالعقل النظرى ، و لان يحترز عن الافات ، و

٢٤ـ فصلت ٣١ *زخرف ٧١

يتجرد عن الظلمات بالعقل العملى ان ساعده التوفيق ، ولاضداد ما ذكرنا بحسب القوتين ، ان ارداه الخذلان ، و هو سبحانه يضل من يشاء و يهدى من يشاء[٢٥] .

فصل

فى ترتيب ما يحدث من فضل الله فى الانسان، حتى يعود من ادنى المراتب الى اعلى مراتب العقل النظرى، و فيه اشراقات

الاشراق الاول

فى ادنى مراتب العقل النظرى

و هى ما يكون للنفس الانسانية بحسب اول الفطرة الذى هو استعدادها لجميع المعقولات ، و يقال لها فى تلك المرتبة العقل الهيولانى ، لخلوها عن كل صورة عقلية ، فلها وجود عقلى بالقوة ، كما ان الهيولى فى ذاتها خالية عن جميع الصور الحسية، و لها فى ذاتها وجود حسى بالقوة، فجوهرية النفس فى اول تكونها كجوهرية الهيولى ضعيفة ، شبيهة بالعرضية ، بل اضعف منها ، لانها قوة محضة .

حكمة عرشية

و لعلك تقول : النفس عالمة بذاتها و بقواها ، علما فطرياً غير مكتسب، فكيف يكون فى اصل الفطرة قوة محضة ، فاسمع : ان فطرة الانسان بما هو انسان غير فطرة الحيوان بوجه ، فان اخر فطرة الحيوان اول فطرة الانسان، كما ان اخر النبات اول فطرة الحيوان ، لاختلاف الفطر و النشات ، و اتصال بعضها ببعض ، مع تفاوتها كمالا و نقصا و شدة و ضعفا ، و كلامنا انما هو فى مبدأ الانسان بماهو انسان ، اى جوهر ذونطق مدرك للكليات ، والانسان الملكى غير الانسان الحيوانى و بعده ، فله قوة وجود يخصه و كمالية بحسبها، كما ان للحيوان الحسى وجود هو كالمنى والبيضة و نحوهما ، و كمالية

٢٥ـ نحل ٩٣

بحسبها ، و وجود الانسان وجود علمى اخروى ، و لعلمه بذاته و بالاشياء مراتب القوة والاستعداد و الكمال ، و علمه بذاته و بالاشياء عين وجود ذاته و عين وجود ذوات الاشياء ، مع اتحاده بالاشياء ، كما حققه الراسخون فى الحكمة ، لان وجوده وجود عقلى ، والحاصل للامر العقلى لا يكون الا امراً عقلياً .

وستعلم ان العقل بالفعل عين المعقول ، بل العقل كل الاشياء ، فمتى كان وجود العقل بالقوة ، كان معقوله ايضاً بالقوة ، فعلم الانسان بذاته و بما هو حاصل لذاته فى ابتداء النشأة قوة علم بذاته و بماسوى ذاته جمعياً ، و ما هو له فى الفعل فى الابتداء ليس الاجوهراً حاساً و محسوساً بالفعل ، او خيالا و متخيلا بالفعل ، واكثر الناس مقامهم هذا ، و كلما كانت القوة العاقلة اشد فعلية ، كانت معقولاتها اشد تحصلا و او كد وجوداً ، و كلما كانت اضعف ، كانت معقولاتها اضعف ، كما ان النفس ما دامت حاسة يكون مدركاتها اموراً محسوسة ، و مادامت متخيلة او متوهمة كانت متخيلات او موهومات ، فمادامت قوتها العاقلة متعلقة بالبدن منفعلة عن احواله و اثاره و شواغله، كانت معقولاتها معقولات بالقوة، كالصور الخيالية المخزونة من الصور الطبيعية كالفلك والحيوان والنبات و غيرها ، مما لاينفك فى وجودها الخارجى عن العوارض المادية فى الة الخيال كما هو المشهور مع امكان تجردها فى اعتبار الذهن ، و جواز تجردها فى الخارج نحواً عقليا كما هو مذهب افلاطن و شيعته فى الصور المفارقة الالهية ، فكذا القوة العاقلة قبل صيرورتها عقلا بالفعل مخالطة بالمادة البدنية ، بل هى صورتها الحسية طوراً ، و صورتها الخيالية اخرى ، و مبدأ قواها البدنية والنفسانية ، و لها استعداد الوجود العقلى القدسى بالاتصال بروح القدس والملائكة العلوية ، والانفصال عن القوى المنفعلة التى شأنها التحريك الانفعالى والفعل التجددى ، دون الابداع والاختراع ، فحال العاقل و المعقول فى جميع الدرجات واحد ، فالنفس مادامت عقلا بالقوة كانت معقولا بالقوة ، و معقولاتها معقولات بالقوة ، و اذا صارت بالفعل صارت هى ايضاً كلها بالفعل ، فعلم النفس بذاتها فى اول تكونها من باب القوة

والاستعداد، و كذا وجودها العقلى، ثم من باب التخيل و التوهم كسائر الحيوانات فى ادراك نفوسها، و اكثر النفوس الانسانية لايتجاوز هذا المقام.

اما العالم بذاته و العارف بنفسه عرفاناً عقلياً، فانما يقع فى قليل من الادميين بعد بلوغه مرتبة الكمال، المختص بالرجال العقلانيين والعلماء الراسخين.

اشارة قرانية

فالنفس الانسانية فى اول فطرتها العقلية نهاية عالم الجسمانيات فى الكمال الحسى، و بداية عالم الروحانيات فى الكمال العقلى، واليه الاشارة القرانية فى قوله: فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب[٢٦] فان النفس باب الله الاعظم الذى امر عباده ان يأتوا منها الى بيته المحرم، فقال: و أتوا البيوت من ابوابها[٢٧] و بالجملة فهى صورة كل قوة فى هذا العالم، و مادة كل صورة فى عالم اخر، فهى مجمع بحرى الجسمانيات و الروحانيات، مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان[٢٨] فان نظرت الى جوهرها فى هذا العالم، وجدتها مبدأ جميع القوى الجسمانية، و مستخدم سائر الصور الحيوانية و النباتية و الجمادية، والجميع جنودها و خدمها، فانها من اثارها و لوازمها فى هذا العالم، وان نظرت الى جوهرها فى العالم العقلى وجدتها قوة صرفة لاصورة لها عند سكان عالم الملكوت والرحموت، نسبتها الى ذلك العالم نسبة البذر الى الثمرة، فان البذر بذر بالفعل، ثمرة بالقوة.

تذكرة

قد علم مما ذكر: ان صورة الانسان البشرى خليفة الله فى ارضه، و ستعلم ان معنى روحه خليفة الله فى ملكوت سمائه، فهى متوسطة بين الحالتين نازلة فى منزلة بين المنزلتين، و ان كونه اخر المعانى الجسمانية، دليل على

٢٦- حديد ١٣ ٢٧- بقره ١٨٩
٢٨- رحمن ١٩ و ٢٠

انه اول المعانی الروحانیة ، فهو بسیط بروحه الروحانیة ، الحیة العلامة بالطبع ، مرکب بجسمه ، فهو بین البسیط والمرکب کجوهر المراة المصیقل المرکب ، فانه المرکب بجسمیته و ظهره ، والبسیط ببسیطه و وجهه ، فهو لاجل ذلك قابل للحیاة والنور بروحه ، و قابل للموت و الظلمة بجسمه، فطبیعة جسمه اصفی الطبایع الارضیة و الهیولی الطبیعیة ، و نفسه ادنی رتبة من النفوس الملکیة والعقول العالیة ، اذکانت الملائکة لایتصل به و لاتشرق علیه الا بعد مرورها علی الطبقات ، ولا یسری فیه الا بعد سریانها فی الانوار الفلکیة والاشخاص السماویة .

ثم یعطف علیه الرحمن برحمته و عطوفته ، و ینزل علیه نعمه بالـوحی والانباء والالهام من السماء ، و ان النفس الانسانیة متی عدلت عما هو بها الیق ، و هی به احری و احق ، من قبول العلوم الالهیة ، مترددة فی عمایتها متبلدة فی جهالتها ، فهذا هو موتها ، لانها قد انقطعت عن عالمها ، و انفصلت عن جوهرها ، و اتحدت باعمالها القبیحة و اخلاقها الردیة و ارائها السیئة، فیخرج من صورة الانسانیة ، و یفوتها صورة الملکیة ، فیکتسب باعمالها صورة شیطانیة ، او یحشر فی القیامة الی صورة بهیمة قبیحة وحشیة ، فلذلك قالت الحکماء : ان صورة الانسان بمنزلة ثالثة ، و انها صراط ممدود بین الجنة والنار ، الجنة عن یمینه محل الاخیار ، والنار عن شماله مکان الاشرار ، و دارالاسقام والظلمات، وفیها العصاة المعذبة بانواع‌العذاب، علیهم‌مؤصدة فی عمد ممددة[۲۹] وفیها اشخاص شیطانیة وابدان ظلمانیة سرابیلهم من قطران و تغشی وجوههم النار[۳۰] و سیرد علیك ضرباً من الکشف من احوال الاخرة ان کنت من اهله .

الاشراق الثانی

فی العقل بالملکة

قد اشرنا الی ان العقل الهیولانی عالم عقلی بالقوة ، من شأنه ان یکون فیه ماهیة کل موجود و صورته من غیر تعسر و تأبی من قبله او امتناع ، فان

۲۹ـ همزه ۸ و ۹ ۳۰ـ ابراهیم ۵۰

عسر عليه شيء فاما لان ذلك الشيء فى نفسه ممتنع الوجود ، او كان ضعيف الكون شبيهاً بالعدم ، كالهيولى و كالحركة والزمان والعدد واللانهاية، و اما لانه شديد الوجود قويا ، فيغلب على المدرك و يقهره و يفعل به ما يفعل الضوء الشديد بعين الخفاش ، و ذلك مثل القيوم تعالى ومجاوريه من الانيات العقلية ، فان التعلق بالمواد يوجب للقوة العقلية ضعفا عن ادراك القواهر النورية ، فيوشك انها اذا قويت و تجردت طالعتها حق المطالعة على قدرما يمكن للمفاض عليه ان يدرك المفيض ، فخرجت من القوة الى الفعل بسطوع نورالحق ، فاذا حصل فى القوة العقلية هذا الشيء الذى منزلته منها منزلة الشمس من البصر ، و هوالشعاع العقلى ، فاول ما يحدث فيها عن رسوم المحسوسات ، التى هى معقولات بالقوة ،و كانت محفوظة فى خزانة المتخلية، هى اوائل المعقولات التى اشترك فيها جميع الناس من الاوليات و غيرها، مثل الكل اعظم من الجزء ، و النار حارة ، والارض ثقيلة ، والبحر موجود، والكذب قبيح ، و هذه الصور اذا حصلت للانسان ، يحصل له بالطبع تأمل و روية فيها و تشوق الى الاستنباطات ، و نزوع الى تحصيل ما لم يكن تعقله اولا ، فحصول هذه المعقولات هو عقل بالملكة ، لانه كمال اول للعاقلة من حيث هى بالقوة ، كما ان الحركة كمال اول لما بالقوة من حيث هو كذلك، فحصولها مما يؤدى الى كمال ثان لها من حيث كونها بالقوة ، و هو كمال اول لما بالفعل ، من حيث بالفعل ، فالعقل بالملكة فى باب الكمال العقلى، كالسعى والحركة فى باب الكمال الجسمانى .

الاشراق الثالث

فى العقل بالفعل

هذا هو الكمال الثانى للعقل المنفعل بما هو منفعل ، والكمال الاول له من حيث هو جوهر عقلى له صورة بالفعل ، و هذه هى السعادة التى يصير الانسان بها حياً بالفعل ، موجوداً فى دارالحيوان ، حياة غير محتاج بحسبها الى استعمال مادة بدنية ، و ذلك لصيرورتها من هذه الجهة من جملةالاشياء العقلية ، البريئة عن المواد والقوى والاعدام والملكات ، باقياً ابدالابدين،

ولايبلغ الانسان الى هذه المرتبة الا بافعال ارادية و حركات نفسانية، يحصل الحدود الوسطى بالعقل بالملكة، و يستعمل القياسات و التعاريف، خصوصاً البراهين والحدود، فهذا فعله الارادى، و اما فيضان النور العقلى، فهو لم يكن ولا يكون بارادته، بل بتأييد من الحق الذى به يتنور صورة السماوات والارض و ما فيهما من العقول والنفوس والطبايع والقوى، فيكون له عند ذلك: حال حصول الكمالات النظرية والثوانى العقلية، كحال الاوائل الضرورية فى اللزوم بلااكتساب ولاروية، فمراتب الانسان بحسب هذا الاستكمال منحصرة فى نفس الكمال و استعداده قريباً او بعيداً، فالاول عقل بالفعل، والثانى بلملكة، والثالث الهيولانى، و انما سمى هذا العقل بالفعل، لان للنفس بحسبه ان تشاهد المعقولات المكتسبة متى شاءت من غير تجشم كسب، و ذلك لتكرر مطالعتها للمعقولات مرة بعد اخرى، و تكثر رجوعها الى المبدأ الوهاب و اتصالها كرة بعد اولى، حتى حصلت لهاملكة الرجوع الى جناب الله، والاتصال به من غير مانع داخلى، وان منعها الشواغل البدنية مادامت فى الدنيا عن كنه الرجوع، والمكدرات الطبيعية عن صفو الوصول، فقد صارت مشاهدة معقولاتها مختفية عنها، مخزونة فى شىء لها كالاصل، و اليه الاشارة بقوله سبحانه: ولا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يكسبون[٣١].

الاشراق الرابع

فى العقل المستفاد

و هو بعينه العقل بالفعل، اذا اعتبرت فيه مشاهدة تلك المعقولات عند الاتصال بالمبدأ الفعال، و سمى به لاستفادة النفس اياه مما فوقها، فالانسان من هذه الجهة هو تمام عالم العود و صورته، كما ان العقل الفعال كمال عالم البدو و غايته، فان الغاية القصوى فى ايجاد هذا العالم الكونى و مكوناته الحسية هى خلقة الانسان، و غاية خلقة الانسان العقل المستفاد، اى المشاهدة للعقليات والاتصال بالملاء الاعلى، و اما خلقة سائر الاكوان من النبات و

٣١ـ سجده ١٧

الحيوان فلضرورات تعيش الانسان واستخدامه اياها ، كما قال تعالى : وخلق لكم ما فى الارض جميعاً[٣٢] و لئلا يهمل فضالة المواد التى خلق من صفوها الانسان ، كما فى الحديث : اكرموا عمتكم النخلة ، فانه خلقت من بقية طينة ادم ، فالعناية الالهية اقتضت ان لايفوت حق كل عنصر ، بل يصيب كل مخلوق من الحقوق نصيباً و سهماً ، و يقدر له قدراً و قسماً به يليق .

فصل

فى مراتب العقل العملى للانسان

و هى ايضاً منحصرة بحسب الاستكمال فى اربع : الاولى تهذيب الظاهر باستعمال الشريعة الالهية والاداب النبوية ، والثانية تهذيب الباطن و تطهير القلب عن الاخلاق والملكات الردية الظلمانية والخواطر الشيطانية، والثالثة تنويره بالصور العلمية والمعارف الحقة الايمانية ، والرابعة فناء النفس عن ذاتها و قصر النظر و الالتفات عن غيرالله الى ملاحظة الرب تعالى و كبريائه، و هى نهاية السير الى‌الله على صراط النفس الادمية ، و بعد هذه المراتب منازل و مراحل كثيرة ، ليست اقل مما سلكها الانسان فيما قبل ، و لكن يجب ايثار الاختصار فيما لا يدرك الا بالمشاهدة والحضور ، لقصور المشافهة و التعبير عن بيان مالايفهم الا بالنور ، فان للكاملين بعد المسافرة الى‌الله و وصولهم ، اسفار اخرى بعضها فى الحق و بعضها من الحق ، لكن بالحق و حوله و قوته ، كما كان قبل تلك بقوة القوى و انوار المشاعر ، و ان كانت هى ايضاً بهداية الحق وجوده و لطفه لمن يشاء ، لكن الفرق بين الحالين مما لا يخفى ولا يحصى ، ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم .

فهذه جملة من احوال النفس و ما قبلها و ما بعدها بحسب شرح الاسامى لما هياتها والتعريف ، و اما التحقيق فيها : فسنذكر ما تيسر لنا من البرهان ان شاء الله تعالى .

٣٢- بقره ٢٩

الباب الرابع

فی اثبات انية النفس الانسانية و مافوقها،
و فيه مشاهد:

المشهد الاول

فی اثبات الجوهر العاقل، و عليه براهين
بعضها عرشية و بعضها مشرقية

الاول : ان فی الانسان قوة روحانية تجرد صورة الماهية الكلية عن موادها الحسية و قشورها الجرمية ، كما تجرد القوة الغاذية صورة الغذاء من قشورها و اكدارها فی اربع مراتب الهضم ، وقد علم ان كل ادراك فبضرب من التجريد ، لكن الحس تجرد الصورة عن المادة بشرط حضور المادة بوضعها عند الحس والخيال ، يجردها عنها و عن بعض غواشيها، كالوضع وغيره، والوهم يجردها عن الكل الاالاضافة الى المادة المخصوصة، والعقل الانسانی ينالها مطلقة بعدهذه التصرفات والاحالات باستخدام المدارك والمشاعر، فيفعل القوة العاقلة فی المحسوس عملا يجعله محسوساً ، و فعلها هذا ليس بمشاركة وضع لمادة جسمانية ، و كل قوة جسمانية لا يفعل الا بمشاركة الوضع ، كما حقق فی مقامه ، و لامحالة يكون فعلها صورة متخصصة بوضع وجهة و كم ، فلم يكن كلية مطلقة محمولة على اعداد كثيرة ، بل جزئية محسوسة ، فكل قوة يعقل امراً كلياً فهی مجردة .

الثانی : ان فی الانسان قوة تدرك اشياء يمتنع وجودها فی الجسم، كالضدين معا ، مثل السواد و البياض ، والمتقابلين مثل الوجود و العدم معاً ، و لوجود مثل هذه الامور فی انفسنا يمكننا ان نحكم بان لاوجود لشیء منها فی الاجسام، لان الحكم بالشیء علی شیء لابد من وجودهما عند الحاكم بنحو ، و لنا ايضاً ان ندرك الحركة والزمان واللانهاية و اشباهها مما استحال ان يكون لها صورة فی المواد .

الثالث : انا ندرك الوحدة المطلقة والمعنی البسيط العقلی ، كالجنس العالی والفصل الاخير ، و معلوم ان ما هو فی الجسم فهو منقسم .

الرابع: ان فى الانسان قوة ذات تجرد المعقولات عن المواد وعوارضها، فتجردها اما لذاتها و هو باطل، والا لما عرض لهذا التجسم، والموجود خلافه، او لما اخذت هى عنه، اى المادة و عوارضها، و هو ايضاً باطل، فان المادة و عوارضها من اسباب التجسم، فيستحيل ان يكون منشأ التجرد، والا لزم التناقض، فبقى ان يكون تجردها بسبب القوة العاقلة، فلم يكن هذا الوجود التجردى لها وجود امر فى جسم، و بذلك ثبت المطلوب.

و من المشرقيات، فى ان محل الحكمة قوة مجردة عن الجسم و عوارضه: ان كل صورة اوصفة حصلت فى جسم، فاذا زالت عنه و بقى المحل فارغا عنها، يحتاج ذلك المحل فى استحصالها ثانيا الى استيناف سبب كاول الامر، من غير ان يكون مكتفيا بذاته، اذ ليس هذا من شأن الجسم، ثم ان النفس شأنها فى الصور العقلية ان يصير بعد استحصالها من معلم او فكر مكتفية بذاته فى استرجاعها متى شاءت، فالنفس تعالت عن ان يكون جرمية فهى روحانية، و ايضاً كل جوهر مادى لا يمكن ان يتراحم عليها صور كثيرة فوق واحدة، و صور العلوم كلها لا يمكن ان يجتمع فى دفتر واحد جسمانى، و اما النفس فهى لوح اجتمعت فيه علوم شتى و صنايع تترى، و اخلاق مختلفة، و اعراض متخالفة، و اهواء متفرقة، فليذعن انها دفتر روحانى و لوح ملكوتى، لايتراكم فيه الصور لما يتراكم و يتراحم فى الهيولى الجسمانية، كتب الله بالقلم العقلى على هذا اللوح مايشاء من صور الحكمة والبرهان، واليه الاشارة بقوله تعالى اولئك كتب فى قلوبهم الايمان[٣٣].

المشهد الثانى

فى استبصارات يفيد الطمأنينة فى ان النفس الانسانية من عالم آخر

اعلم ان براهين تجرد النفس عن هذا البدن كثيرة، قد ذكرنا طرفا منها فى المبدأ والمعاد و غيره، فليطلب من اراد الاستقصاء من تلك المواضع، و كتب الحكماء مشحونة بذكر احوال النفس، و مع ذلك بقى امرها فى

٣٣ـ مجادله ٢٢

حيز الكتمان ، ولم يعرف احداياها حق معرفتها ، الا اولياء الله المتجردين عن عالم البشرية ، والاولى لمن اراد ان يقف على احوال النفس ان يقتدى بهم، و يقتفى اثارهم ، و يقتبس من انوارهم ، و يهاجر اغراض الطبيعة ، و يلطف سره عن شواغل هذا الادنى ، ليشاهد ذاته المجردة عن الاحياز والامكنة ، و يتحقق لديه انه لولا اشتغال النفس بتدبير قواها الطبيعية و انفعالها عنها، لكان لها اقتدار على انشاء الاجرام العظيمة المقدار ، الكثيرة العدد ، فضلا عن التصرف فيها بالتدبير والتحريك اياها ، كما وقع لاصحاب الرياضات ، و قد جربوا من انفسهم اموراً عظيمة وهم بعد فى هذه النشأة ، فما يكون شأنه هذا الشأن ، فكيف يكون محصوراً فى بدن صغير مظلم مركب من الاخلاط ، معروض للعلل و الامراض ، وانت مع شواغلك اذا فكرت فى الاء او سمعت اية تشير المسرى و احوال الامور القدسية ، انظر كيف يقشعر جلدك ، وتقف شعرك ، تضطرب اعضائك ، و يهون عليك رفض البدن و قواه و هواه ، و ذلك لاجل كونه صار مقهوراً تحت سطوة نور قذف فى قلبك من جانب القدس، و انعكس اثره الى ظاهر جلدك من الوجه الباطن ، و ربما كان فى مثل هذه الاحوال ان يندك اعضائك كاندكاك جبل موسى عن اثر تجلى الحق من جانب القدس الايمن ، فما ظنك بنفوس كريمة الهية عاشقة لانوار كبريائه، حاشى ذاتها الكريمة النورية عن كونها منفعلة مفتقرة الى الاجسام و احوالها .

طريق آخر

النفس والبدن متعاكسان فى القوة والضعف ، فهذا يدل على ان كلا منهما من عالم اخر ، فبعد الاربعين كملت النفس و كلت الالة، ومن المكشوف من طريقتنا فى باب تقلبات النفس و تطوراتها و حركاتها الذاتية الى الاخرة و عندالله ، كما يستفاد من الشواهد القرانية ، ان عروض موت البدن بالطبع لاجل انصراف النفس عن هذه النشأة الطبيعية الى النشأة الثانية و ما بعدها، ففتور البدن و شيبه و هرمه ثم موته منشأ فعلية النفس و تأكدها و تفردها بذاتها دون البدن ، و اما الخرافة العارضة عند الهرم بسبب قلة الحرارة و فرط الضعف فى الالة ، فليست بقادحة فيما ذكر ، لان حاجة النفس الى

مزيد التدبير تمنعها عن جودة التعقل.

بل نقول: لو كان التعقل بالة بدنية، لكان كلما عرضت لها افة و كلال، عرض فيه فتور، و اذ ليس هذا كليا فليس التعقل بالة، فهذا فى قوة قياس استثنائى تاليها متصلة كلية موجبة، استثنى فيه نقيض التالى، و هو سالبة جزئية متصلة، لينتج نقيض المقدم، ولو استثنى فيه عين التالى لاينتج شيئاً.

طريق اخر

لو كانت النفس قوة فى الالة كالباصرة، ما ادركت ذاتها ولا ادراكها، اذ لاوجود للحال الا لمحله، فلم يوجد لنفسه فلا علم له بنفسه، اذالعلم معناه وجود صورة الشىء لمدركه او حضوره لديه، واذ لاوجود فلا ادراك ولا تتخلل الالة بين الشىء و نفسه، ولا بينه و بين الته، والالى لايدرك الالماله نسبة وضعية، و ليس نفس الادراك، و ايضاً لو كانت منطبعة فى جسم، لكانت اما دائمة المشاهدة له ان كفت صورة هويته، او دائمة الغفلة عنه ان لم يكف، والا لحصلت فى مادة واحدة صورتان من نوع واحد، و قسمى التالى باطل، فالمقدم كذلك.

المشهد الثالث

فى شواهد سمعية من الكتاب والسنة والاثار

اما الايات فكثيرة، منها قوله تعالى فى حق ادم عليه‌السلام واولاده: و نفخت فيه من روحى[٣٤] و فى حق عيسى عليه‌السلام: وكلمته القيها الى مريم و روح منه[٣٥] و هذه الاضافات تؤذن على شرف النفس، وكونها فى ذاتها عرية عن الاجرام، و قوله تعالى: ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك‌الله احسن‌الخالقين[٣٦] و قوله: سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت‌الارض و من انفسهم ومما لايعلمون[٣٧] و قوله: اليه يصعد الكلم الطيب والعمل

٣٤ـ حجر ٢٩ ٣٥ـ نساء ١٧١
٣٦ـ مؤمنون ١٤ ٣٧ـ يس ٣٦

الصالح یرفعه[38]، و قوله : ولقد کرمنا بنی ادم[39] و قوله : ولقد خلقنا الانسان فی احسن تقویم[40] و قوله : یا ایتها النفس المطمئنة ارجعی الی ربك راضیة مرضیة[41] والرجوع یبتنی علی السابقة .

و اما الاحادیث فمثل قوله صلی‌الله علیه و اله : من عرف نفسه فقد عرف ربه ، و قوله صلی‌الله علیه واله : من رآنی فقد رای الحق ، و قوله : انا النذیر العریان ، و قوله : ابیت عند ربی یطعمنی و یسقینی ، فهذه الاخبار مما یؤذن بشرف النفس و مفارقتها عن‌الاجرام و قربها من‌الباری اذا کملت، و قال روح‌الله المسیح علیه‌السلام: لا یصعد الی السماء الا من نزل منها ، و قوله علیه‌السلام: لن یلج ملکوت السماء من لم یولد مرتین، وعن رسول‌الله صلی‌الله علیه و اله : ان‌الله خلق ادم علی صورته و عن محمد بن مسلم قال : سألت ابی جعفر علیه‌السلام عما یروون : ان‌الله خلق ادم علی صورته ، فقال: هی صورة محدثة مخلوقة ، اصطفاها الله و اختارها علی سائر الصور المختلفة فاضافها الی نفسه .

و اما الاثار فقد تکلم المتمسکون بالشرایع فی ماهیة الروح ، فقوم بطریق الاستدلال والنظر ، و قوم منهم بلسان الذوق والوجدان ، لاباستعمال الفکر، حتی تکلم فی ذلك مشایخ الصوفیة ، مع انهم تأدبوا بادب رسول‌الله صلی‌الله علیه واله ، ولم یکشفوا عن سر الروح الاعلی سبیل الاشارة والرمز ، و یجوز ان یکون کلامهم المذکور فی بیانه بمثابة التأویل لکلام‌الله والایات المنزلة ، حیث حرم تفسیره و جوز تأویله ، اذ لایسع القول فی‌التفسیر الانقلا، و اما التأویل فتمتد العقول الیه بالباع الطویل ، و هو ذکرما تحتمل‌الایة من‌المعنی من غیر القطع بذلك ، کما نحن ایضاً لانتکلم ولانکشف الا عن بعض مقامات الروح و منازله النفسیة والعقلیة ، کتجرده عن‌الجسم وعوارضه، والتجرد امر سلبی لایحصل بمعرفة العلم بحقیقة الشیء ، ولا نذکر حقیقة مقامه الروحی و مقامه السری ، و مقامه الخفی والاخفی تأدباً بادب‌الله و ادب رسول‌الله صلی‌الله علیه و اله و ادب اولیاء الله علیهم‌السلام .

۳۸ـ فاطر ۱۰ ۳۹ـ اسراء ۷۰
۴۰ـ تین ۴ ۴۱ـ فجر ۲۷ و ۲۸

فقد قال الجنيد : الروح شيء استأثر الله بعلمه ، ولا تجوز العبارة عنه باكثر من موجود ، و غرضه انه موجود كسائر الانيات العقلية التى هى فوق النفس ، و قال ابويزيد البسطامى : طلبت ذاتى فى الكونين فما وجدتها ، اى ذاته فوق عالم الطبيعة و عالم المثال ، فيكون من المفارقات العقلية ، و قال ايضاً : انسلخت من جلدى فرأيت من انا ، فسمى الهيكل قشراً و جلداً ، وهذا تصريح بان هوية الانسان شيء غير الجسد ، و قال ابن عطا : خلق الله الارواح قبل الاجساد ، لقوله تعالى : ولقد خلقناكم[٤٢] يعنى الارواح ، ثم صورناكم[٤٣] يعنى الاجساد ، و قال بعضهم : الروح لطيف قائم فى كثيف ، و فى هذا نظر كما عرفت ، وله وجه صحيح ايضاً ، و قال بعضهم : الروح عبارة والقائم بالاشياء هوالحى[٤٤] و فى هذا ايضا نظر ، الا ان يحمل على معنى الاحياء ، فقد قال بعضهم : ان الاحياء صفة المحيى ، كالتخليق صفة الخالق ، و قيل فى قوله : قل الروح من امر ربى[٤٥] امره كلامه ، فصار الحى حيا بقوله : كن حياً ، فعلى هذا لايكون الروح فى الجسد .

ثم ان اهل الشريعة اختلفوا فى الروح الذى سأل رسول الله عنه ، فمن الاقوال ما يدل على ان قائله يعتقد قدم الروح ، و منها ما يدل على انه يعتقد حدوثه ، و ايضاً قال قوم : ان الروح و هو جبرئيل عليه السلام ، و هذا القائل يشبه قوله قول بعض قدماء الفلاسفة ، حيث رأى ان الجوهر النطقى من الانسان يتحد بالعقل الفعال ، و يقرب منه ما نقل عن امير المؤمنين عليه تسليمات الله و تقديساته انه قال : الروح ملك من ملائكة الله[٤٦] له سبعون الف وجه ، ولكل وجه منه سبعون الف لسان ، ولكل لسان منه سبعون الف لغة ، يسبح الله بتلك اللغات كلها ، و يخلق من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة الى يوم القيامة ، وروى عن عبدالله بن عباس : ان الروح خلق من خلق الله ، صورهم على صورة بنى ادم ، و ما نزل من السماء ملك الا و معه واحد من الروح ، و قال ابوصالح : الروح كهيئة الانسان و ليسوا بناس ، و قال مجاهد : الروح على صورة بنى ادم ، لهم ايد و ارجل و رؤس يأكلون الطعام وليسوا

٤٢و٤٣ـ اعراف ١١
٤٤ـ الحق (عوارف)
٤٥ـ اسراء ٨٥
٤٦ـ ملك من الملائكة (عوارف)

یتعارف و یتسائل ، فاذا قدمت الروح علی تلك الارواح تقول : دعوها ، فانه قد اقبلت من هول عظیم ، ثم یسألونها ما فعل فلان و ما فعل فلان ؟ فان قالت لهم ترکته حیاً ارتجوه ، و ان قالت لهم قد هلك قالوا قد هوی هوی ، و فی الکتاب الکافی ایضاً عنه علیه‌السلام ، ان ارواح المؤمنین فی حجرات فی الجنة ، یأکلون من طعامها و یشربون من شرابها ، و یقولون : ربنا اقم لنا الساعة و انجز لنا ما وعدتنا ، والحق اخرنا باولنا ، و روی فی ارواح الکفار بضد ذلك ، وروی ایضا محمد بن الحسن الطوسی رحمه‌الله ، فی التهذیب عن الامام ابی عبدالله علیه‌السلام ، انه قال لیونس بن ظبیان : ما یقول الناس فی ارواح المؤمنین ؟ فقال یونس : یقولون فی حواصل طیر خضر فی قنادیل تحت العرش ، فقال علیه‌السلام : سبحان‌الله ، المؤمن اکرم علی‌الله من ذلك ان یجعل روحه فی حوصلة طائر اخضر ، یا یونس المؤمن اذا قبضه الله تعالی صیر روحه فی قالب کقالبه فی الدنیا ، فیأکلون و یشربون فاذا قدم علیهم القادم ، عرفوه بتلك الصورة التی کانت فی‌الدنیا .

والاخبار انمنقولة عن ائمة اهل البیت علیهم السلام فی هذا الباب کثیرة ، ولاتظنن ان اتصاف الارواح بتلك الصفات المذکورة من الشکل والهیئة والتجذب والاکل والشرب و غیرها مما ینافی تجردها عن هذا العالم الطبیعی ، فان لله عوالم غیر هذا العالم ، بعضها الطف من بعض ، کلها مفارق عن هذه المواد الکونیة الاستعدادیة .

وسأل‌الواسطی لای علة کان‌رسول‌الله صلی‌الله علیه واله احکم[۶۲] الخلق؟ قال : لانه خلق روحه اولا فوقع له صحة التمکین والاستقرار ، الا تراه کیف یقول : کنت نبیا والادم بین الروح والجسد ، ای لم یکن روحاً ولا جسداً، انتهی قال بعضهم : الروح خلق من نورالعزة ، و ابلیس خلق من نارالعزة، و لهذا قال : خلقتنی من نار[۶۳] و لم یدر ان النور خیر من النار ، و قال بعضهم: قرن‌الله العلم بالروح، فهو للطافتها تنمو بالعلم ،کما ان البدن ینمو بالغذاء ، والمختار عنداکثر متکلمی الاسلام ان الانسانیة والحیوانیة عرضان ، خلقا[۶۴]

۶۲ـ احلم (عوارف) ۶۳ـ اعراف ۱۲
۶۴ـ خلفا (ن ل)

فـي الانسان والموت يعدمها، و ان الروح هـي الحيوة بعينها صار البدن بوجودها حيا، و بالاعادة اليه فى القيامة يصير حيا.

اقول: هذا الكلام حق لوصدر من ذى بصيرة اوسمع باطنى، و كذا ما ذهب اليه بعض المتكلمين من: انه جسم لطيف اشتبك[٦٥] بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر، و هو اختيار ابى المعالى الجوينى استاد الشيخ ابوحامد الغزالى، و ذلك لان ذلك الجسم البرزخى ايضاً من مظاهر الروح، و اصر بعضهم على انه عرض، مع ما سمعوا من الاخبار الواردة فيه من العروج والهبوط والتردد فى البرزخ، و سأل ابن عباس قيل له: اين تذهب الارواح عند مفارقة الابدان؟ فقال: اين يذهب ضوء المصباح عند فناء الادهان، قيل له: اين تذهب الجسوم اذا بليت، قال: فاين يذهب لحمها اذا مرضت.

و قال ابوطالب المكى فى قوت القلوب: ما يميل الى ان الارواح اعيان فى الجسد، و كذا النفوس، لانه يذكر ان الروح يتحرك، ومن حركتها يظهر نور فى القلب يراه الملك فيلهم الخير عند ذلك، وان النفس يتحرك و من حركتها يظهر ظلمة فى القلب، فيرى الشيطان الظلمة، فيقبل بالاغواء.

و قال بعض علماء الاسلام: ان الروح اذا فارقت الابدان تحمل معها القوة الوهمية بتوسط النطقية فتكون حينئذ مطالعة للمعانى والمحسوسات لان تجردها من هيئات البدن عند المفارقة غيرممكن، و هى عندالموت شاعرة بالموت، و بعدالموت متخيلة بنفسها مقبورة، و تتصور جميع ماكانت تعتقده حال الحياة و تحس بالثواب والعقاب فى القبر، وكان هذا الكلام مأخوذ مما نقله الشيخ ابوعلى فى الرسالة الاجوبية عن بعض العلماء، و سنزيدك ايضاحا لمعناه و مؤداه.

و قال الشيخ السهروردى فى عوارف المعارف، ما وجدته فى كتاب الطواسين و اليواسين، المنصوب الى منصور الحلاج[٦٦] و هو: ان الروح العلوى السماوى من عالم الامر، والروح الحيوانى البشرى من عالم الخلق، و هو محل الروح العلوى و مورده، و هذا الروح الحيوانى جسمانى لطيف

٦٥ـ مشتبك (عوارف)

٦٦ـ وجده المؤلف الشريف لاالشيخ الالهى السهروردى.

فهذه اقوال فضلاء الاسلام و اشارات المشايخ ، الدالة على ان قوام النفس ليس بالبدن ، بل بالروح الذى هو من امرالله و اقوالهم[٨٦] و اما الفلاسفة فارائهم فى تجرد النفس و قوامها لابالبدن مشهورة مستغنية لغاية الشهرة عن الذكر .

المشهد الرابع

فى حدوث النفس

الفلاسفة قد اختلفوا فى هذه المسألة ، فالمشهور من فلاطون و من تبعه انه ذهب الى قدمها ، و ذهب ارسطو و من وافقه الى حدوثها بحدوث البدن ، و الحق ان النفوس الانسانية بما هى نفوس حادثة بحدوث البدن ، و بما هى فى علم‌الله من حيث حقيقتها الروحانية قديمة بقدم علمه تعالـى ، فهى جسمانية الحدوث روحانية البقاء ، عند ما استكملت و خرجت من‌القوة الى الفعل .

والبرهان على ذلك: ان كل مجرد عن المادة وعوارضها لايلحقه عارض قريب ، لما ثبت و تقرر ان جهة التجدد و الحركة والاستعداد ، راجعة كلها الى امر هو فى ذاته قوة محضة لايحصل لها الا بما يحلها من‌الصورة والهيات، و ليس هو الا المادة الجرمانية المسماة عندالعرفاء بالهباء والسنحة ، فاذا كان الامر كذلك فيلزم كون كل حادث جسمانيا ، و ان المجرد الصرف بما هو كذلك غيرمادى ، فالنفس لو كانت موجودة قبل البدن فلا يخلواما ان يكون موجودة فى بدن اخر، فيلزم التناسخ و هو محال كماستعلم ، و اما ان يكون مفارقة عن الابدان كلها ، فيلزم عروض التجدد و سنوح التغير الزمانى على امر خارج عن عالم المواد و حركاتها و استعداداتها و هـذا محال كما ستعلم .

و مما يدل على ان النفس التى هى صورة الانسان جسمانية الحدوث و روحانية البقاء ما سلفت اليه الاشارة من ان العقل المنفعل من الانسان هو اخر المعانى الجسمانية و اول المعانى الروحانية ، فنفس الانسان كـأنهـا

٨٦ــ واقوالهم عطف على اشارات المشايخ

صراط ممدود بين العالمين ، فهى صورة الحيوانية و مادة الملكية ، من شأنها ان يتصور بصورة الملائكة ، و متى عدلت عما هو بها اليق و هى به احق من الارتقاء الى منازل الملائكة العلويين ، فيخرج من صورةالانسانية و تفوتها صورة الملكية باعمالها اما صورة شيطانية ان كان الغالب عليها المكر و الجربزة ، او سبعية ان كان الغالب عليها قوة الغضب ، او بهيمية ان كان الغالب عليها قوة الشهوة ، فبقيت فى سعير النيران ، محرقة بنار الكفر اونار الغضب او نار الشهوة ، غير منورة بنورالايمان ، ولا مرتفعة الى درجات الجنان ، فالنفوس الانسانية بحسب اول حدوثها صورة نوع واحد هوالبشر، ومادة اشياء كثيرة اخروية، ثم اذا خرجت من القوة البشرية والعقل الهيولانى الى الفعل ، يصير احد انواع كثيرة من اجناس الملائكة والشياطين والسباع والبهائم بحسب نشأة ثانية، وستعلم زيادة كشف و تحقيق بحسب قوة استطاعتك و وفود نصيبك ، والغرض هاهنا ، ان تعلم : ان النفس باى معنى حادثة ، و باى معنى باقية .

المشهد الخامس

فى بقاء الانسان مفارقاً عن هذا العالم

لاشبهة لاحد من العقلاء فى موت هذا الجسد و دثوره و بطلانه وفساده و اضمحلاله ، اذ هو مشاهد بصريح الحس والعقل ، يدل عليه ايضاً لان الجسد المركب من الحرارة والرطوبة ابداً فىالتحلل والذوبان و هو متناه ، فلابد و ان ينتهى فى التحليل الى ما يبقى منه شىء ، فيفسد تركيبه و ينحل نظامه و يتضعضع اركانه فينزعج روحه و ينسل ، اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة[87] اى حصون الابدان وقلاع الاجساد، لاتبال انت بالموت ، فانك لاتموت ، كما قال تعالى : يا بن ادم خلقتك للبقاء ، بل انت الذى تنقلت من دارك و غارك الى دار قرارك ، هون على نفسك سكراته و غمراته بتصور لقاء ربك و مرضاته ، فالجنين حالة خروجه من مكمن الرحم و ان يمسه الم ضيق المنفذ[88] فاذا برز الى فسحة الظهور استراح ، و هكذا

٨٧ـ نساء ٧٨ ٨٨ـ المنفد (ن م ل)

عن مغربه فى افق عالم الارواح ، كما هو معنى الموت الطبيعى عندنا ، لا ما سمعته من اقوال الطبيعيين والاطباء ، و لايلزم من انتفاء وجوده الحسى انتفاؤه بالكلية ، فان المعقولات كلها معدومة للحواس ، موجودة للعقل .

و اقوى الالزامات لاهل الجحود واجب الوجود ، اذ هو كالمفقود للحواس ، اما عند العقل فهو انور الاشياء و اظهرها ، و لهذا المعنى شبهه المشبهة والمجسمة ، و هم اكثر الامة بالجسم الكائن فى المكان ، فراراً من مشابهته للعدم ، من حيث لايناله الحواس ، فزعموا ان هذا سلب انقص النقايص عنه، واثبات اكمل الكمالات له، ولم يدر المحروم المرحوم ان نيل الحواس له انقص نقايصه ، لان كماله فوق هذا ، ففاعل المحسوسات كيف يكون مشابها لها، فكماله اذن انه موجود قيوم له السلطنة على الكل، فوجوده اعز و اعلى من الوجود العقلى ، و اشرف من الوجود الحسى بما لا يتقايس .

فنقول : لو كان لوجوده شرط لكان وجود شرطه ايضاً روحانيا بسيطاً ، اذ الجسمانيات لا مدخل لها فى وجود الروحانيات ، بل الامر بالعكس، لانها معلولات الروحانيات و مشروطة بها ذاتا و وجوداً ، بل هى رسوم و اظلال منها ، والا بسط الاشرف اقدم وجوداً من المركب الاخس ، فاذن يعود الكلام الى ذلك الشرط البسيط ، فاما ان يتسلسل الانعدامات فى الامور البسيطة الروحانية و هو محال ، اذ التسلسل فى العدمات فرع و لازم للتسلسل فى الوجودات ، و قد بان بطلانه بوجود كثيرة ، فثبت انه لو انتفى هذا الجوهر لم يخلو حاله من احد امرين ، اما ان يكون لذاته اولغيره ، و ذلك الغير اما ان يكون علته اوشرط علته اوشطر علته ، حتى يدخل فيه المحل والمكان ، ولا خروج عن هذه الاقسام ، و بطلت الاقسام ، فبطل القول، فالحرف المفحم للخصم فى الجواب هو البحث عن كيفية الانعدام ، و انقلاب نور الوجود الى حالة الانتظام و قد عرفت .

و اما بطلان البدن و انفساده فلا يوجب فساد هذا الجوهر العقلى، اذ هو غنى فى ذاته و صفاته و افعاله عن البدن ، اما فى ذاته : فلانه جوهر قائم الذات غنى عن الموضوع ، و اما فى صفاته : لان صفة الذات لا يقوم بغيرها ، و اما فى افعاله : فلان فعله معرفة الحقايق كماهى ، اذ النفس

ام الفضايل لايسكن الا بها ، ولا تركن الا اليها ، كام الولد تنقبض بفقدانها و تنبسط بوجدانها ، و ما خلق الا مجبولا على هذه الشيمة و هو جنين فى المشيمة ، نعم بينه و بين البدن علاقة تدبير و تصرف و تشوق ، فكيف يبطل الجوهر القائم الذات لبطلان اضعف الاعراض ، و ماذا يضرموت الحمار وجود صاحبه ، و انى يسوء خرق السفينة سباحة السابح ، و كيف يقدح كسر القفص فى طيران الطائر ، بل يحط عنه[٩٧] اعباؤها ، و تخفف عنه اوزارها و احمالها و اثقالها ، اذا زلزلت الارض زلزالها و اخرجت الارض اثقالها، و قال الانسان مالها[٩٨] و انما هى زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة[٩٩] والساهرة هى ارض القيامة ، فيومئذ يصدر الناس اشتاتاً[١٠٠] بعد ان كانت واردة الى جهنم غيب عالم الكون والفساد ، ثم ننجى الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثياً[١٠١] فالورود عندالجماعة هى النفخة الاولى ، والصدور هى النفخة الثانية ، يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة[١٠٢] فالصور جمع الصورة على قياس ، و هى الصورة البرزخية المنفوخة فى هذا الهياكل[١٠٣] الانسى ، فينفخ فيه الروح ، ثم يخرج عنه كما قال : اخرجوا انفسكم[١٠٤] والنفح فى المادة النارية قد يخمدها و قد يشعلها ، و ما احسن قول حلاج الاسرار حيث ينظم كلام السفينة والملاح :

الا بلغ أحبائى فانى ركبت البحر وانكسر السفينة

و قد قال السقراط الزاهد المجاهد : استهينوا بالممات ، فان مرارته فىالخوف منه ، والنقليات فى هذا الباب منالايات والاخبار اكثر من ان يحصى[١٠٥].

اما الايات ففيها كثيرة، منها قوله تعالى لحسنحال السعداء : لايذوقون

٩٧ـ عبه (ن ل م)

٩٨ـ زلزال ١ـ٣

٩٩ـ نازعات ١٣و١٤

١٠٠ـ زلزال ٦

١٠١ـ مريم ٧٢

١٠٢ـ نازعات ٦ و ٧

١٠٣ـالهيكل (ن ل)

١٠٤ـ انعام ٩٣

١٠٥ـ و فىالحاشية النسخة المخطوطة:

استاد من آن با خرد و دانش جفت اسرار جهان بجمله از من ننهفت

از عالم علوى و زجان شرحم داد ليكن چه كنم كه با كسى نتوان گفت

ما عاش عليه ، و يحشر على ما مات عليه .
و تحقيق ذلك كما سيأتى : ان حضور الروح عند مقصوده ليس بقطع المسافة كما هو حضور الجسد به ، لبرائته عند الجهة ، بل يتصور مشتهاه و تعقل مرامه ، فمتى تعقل شيئاً يكون فيه ، بل هو هو كما ذهب اليه فرفوريوس موافقاً لاستاذه معلم الفلاسفة ، قال تعالى : لكم فيها ما تشتهى انفسكم[١٢٢] فما يريده الروح يستحضره، لا انه يكون موجوداً ثم يستحضره، بل يستحضره موجوداً و يتصوره حاضراً ، و من هاهنا يعلم : ان ما وعد فى الجنة مما لاتعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين[١٢٣] و مما هو معد لعباده الصالحين مما لاعين رأت ، ولا اذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ، فتصور الحضور عندالرب يوجب الحضور عنده ، سواء كان رب الارباب اوربه و معبوده و محبوبه و مقصوده ، كما ان تصور الصور المليحة تحرك الشهوة اليها ، تصور القبيحة يوجب النفرة عنها فى عالم التصور النفسى ، و اما مغايرة التصور و الحضور فذلك فى عالم المادة البدنى ، اذ وجود المادة الظلمانى غير صورته العلمى النورانى ، و قد شاع فى القلوب و استحكم فى الاذهان ان الارواح يكون فىالجنة او النار ، و نحن نقول : ان الجنة والنار فى الارواح ، لا يسعنى ارضى ولاسمائى و لكن يسعنى قلب عبدى المؤمن ، فاذا وسع رب الجنة والنار ، فكيف لايسعهما ، قال ابويزيد البسطامى : لوان السماوات والارض و ما بينهما الف مرة فى زاوية من زوايا قلب ابى يزيد لما احس بها، يا داود فرغ لى بيتاً انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلى ، يا ابراهيم : طهر بيتى للطائفين والعاكفين ، اكنس بيتك من قاذورات الا بالسة ، ورش فيه ماء ورد الاخلاص فى العلم و العمل ، حتى يحل محبوبك فيه ، والا فلاتطمع فى وصاله ، فان الضدين سيما غاية النور و غاية الظلمة لايجتمعان ، والحضور المذكور فى الاية عند الرب اشارة الى ان الروح غير ذى مكان ، اذالقرب مما هو لا فى مكان لا يتصور من ملابس مكان ، بل القرب منه بالتخلق باخلاقه ، والانتقاش بما هو مسطور فى كتابه الذى لا يمسه الا المطهرون[١٢٤] .

١٢٢ـ فصلت ٣١٠ ١٢٣ـ سجده ١٧
١٢٤ـ واقعه ٧٩

وثانيها الرزق ، اذ الحى لابد له من رزق ، ورزق الارواح الانـوار الالهية والعلوم الربانية ، و الاشعة والاضواء القيومية، التى هى بذورالارواح و نطف العقل ، و رزق الشىء من جنسه ، فالعقل بالقوة يتناول المعانى الكلية العقلية ، يصير عقلا كاملا بالفعل ،كما ان ارتزاق الاجساد بالاجساد والقشور بالقشور واللباب من اللباب .

وثالثها الفرح، لان الرزق الموافق سبب للفرح، ففى الاية مبالغة من هذه الوجوه، ومنها قوله تعالى: ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله امواتاً بل احياء ولكن لاتشعرون[١٢٥] وهذه الاية مثل السابقة، غير ان هذه مجملة وهى مفصلة، ولكن لا تشعرون ، اى انتم لا تعلمون ان المقتول فى سبيل الله حى ، لانكم توهمتم ان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس و هو مقتول ، ولا يشعرون ان المسمى روحا هو باق حى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر[١٢٦] و امثال هذه مجملا و مفصلا ، مقيداً و مرسلا فى الصحف والاناجيل و الزبر للانبياء و سائر كتب الاولياء ، اكثر من ان يستوفى و يحصى ، كيف لاولولم يكن الانسان شيئا يبقى بعد موت الجسد ؟ ابطل المعاد و ما يبنى عليه من عذاب القبر و السؤال والحساب والميزان و سائر المنازل الواقعة على صراط البرزخ الى يوم يبعثون ، و بطلت النبوات ايضا ، و بطلت الكمالات و الغايات ، و يلزم التعطيل ، وقد قام البرهان العقلى الحكمى على اثبات ان للطبايع غايات، ولو لم يكن النفس باقية بطل ذلك ، اذكما ان الحيوان غاية النبات و هى غاية الجماد ، فلو بطلت الغاية بطل ذوالغاية ، فكذلك غاية النفس المدبرة للجسد بلوغها الى حدالكمال العقلى ، فلو لم يكن مرتكزاً فى جبلتها بلوغها اليه بل صيرورته اياه ، لكان وجودها ضايعا معطلا ، و اذا ارتكز فيها ذلك، يلزم الايمان بوجود نشأة الاخرة هى معاد النفوس و مرجع الارواح ، واليه الاشارة فى قوله تعالى : ايحسب الانسان ان يترك سدى ، الم يك نطفة من منى يمنى[١٢٧] يعنى دلت حركة الانتقالية من حد النطفة الجمادية الى حد النطفة

١٢٥ــ بقره ١٥٤ ١٢٦ــ قمر ٥٥

١٢٧ــ قيامه ٣٦و٣٧

الانسانية[١٢٨] على ان له نشأة عقلية باقية ، و بها يثبت حقيقة[١٢٩] النبوات ، اذ يبنى بعثة الانبياء على الانباء منهم للخلق ، و تعريفهم ما فيه حسن حالهم فى مالهم ، اذ العقل لايستقل كثيراً بدرك احوال العاقبة والمنقلب[١٣٠] أستقلاله بدرك احوال المبدأ والسبب ، فلابد اذن للانسان من شىء باق منه سوى هذا الهيكل المضمحل الغبى الباطل الجاهل السايل الزايل ، يسمى روحاً و عقلا و نفساً ، كل بجهة ، و هو المخاطب المعاتب والمثاب والمعاقب ، ليتمشى امر الدين ، و يتحقق الاخذ بالاقوال المستفادة من كتب النبيين و اثارهم ، وزبر الالهيين واسفارهم .

فلـوانـا اذامتنـا تـركنا
لكان الموت راحة كل حى
و لـكنـا اذ متنـا بعثنـا
و نسأل كلنا عـن كل شىء

سواء كان ذلك الباقى عايد الى الهيكل المتروك فى القبر ، او الى هيكل مصنوع مكسوب جديد فى الساهرة ، يوم تبدل الارض غير الارض والسموات[١٣١] و هذا التبديل فى العالم الكبير لا تفهمه ما لم تفهمه فى عالمك الصغير سماء روحك و ارض جسدك ، و اما جسد فبان تعرف كيفية تبدل ارض النطفة بارض العلقة ، و هى بارض المضغة ، و هى بارض العظم ، ثم اللحم الى انشاء خلق اخر ، فمن مبدأ خلقة الجسم الى سماء الروح سبع ارضين طباقا ، لتركبن طبقا عن طبق[١٣٢] اشارة الى هذا المعنى ، ثم انشاء سموات السبع الشداد للروح ، فاولها نفس ، ثم قلب ، ثم عقل هيولانى ، ثم عقل ملكى ، ثم عقل فعلى ، ثم عقل مستفاد ، ثم عقل فعال ، و قدتمت السموات السبع ، و هذه المراتب فى عالم الكبير اوضح وجوداً واصح ثباتاً مما فى عالم الصغير ، الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن[١٣٣] اى من سماء الروح الى ارض الجسد ، و هذا المقام هوالذى قال فيه ابن

١٢٨ـ الانسية (ن م ل)
١٢٩ـ حقية (ن ل)
١٣٠ـ اوالمنقلب (ن ل)
١٣١ـ ابراهيم ٤٨
١٣٢ـ انشقاق ١٩
١٣٣ـ طلاق ١٢

عباس رضی‌الله عنه : لو کنت افسر هذه الایة لرجمتمونی او کفرتمونی ، و ما انزل مقام من لم یعل بعد فی ذروة التوحید العلمی والحالی الی حد یرجم او ینفر او یکفر او یزجر، کما قال الجنید رحمه‌الله : لن یبلغ احد درجة الحقیقة ما لم یشهد الف صدیق بانه زندیق :

کافری گروانمائی مسلمی ور مسلمانی نمائی کافری

اشارة الی الدخول فی الکفر الحقیقی ، المشارالیه فی قوله تعالی: و من یکفر بالطاغوت[١٣٤] و هو کل عالم الامکان ، والخروج من الاسلام المجازی ، المذکور فی قوله تعالی : و لکن قولوا اسلمنا[١٣٥] و کذلك قال امام الموحدین امیرالمؤمنین علیه‌السلام : ان بین ثدیی لعلوما جماً[١٣٦] لو وجدت له حملة ، و قال ابنه علی بن الحسین علیه‌السلام :

انـی لاکتـم مـن علمی جواهره
کیلا یری الحق ذو جهل فیفتتنا
فرب جـوهر علـم لوابـوح بـه
لقیل لـی انت ممن یعبد الوثنـا
ولاستباح رجـال مسلمـون دمـی
یـرون اقبح مـا یـؤتـونه حسنا

و قال الشیخ العارف الشهاب الثاقب :

بالسر ان بـاحـوا تباح دمـائهم
و کـذا دمـاء البایحین[١٣٧] مباح

و لهذا المعنی قال بعض السالکین : افشاء سر الربوبیة کفر، و الکل[١٣٨] مأخوذ من بحرالفضل و منبع العلم و العرفان حیث قال صلی‌الله علیه واله: ان من‌العلم کهیئة المکنون لایعلمه الاالعلماء بالله ، فاذا نطقوا به لم ینکره الا اهل العزة بالله ، ولکن الکأس اذا ملئت عن صفو الراح ترشحت من جوانبها، او لمعت و عکست لرقتها ، و تشعشع مافیها ، ولله در من قال :

١٣٤ــ بقره ٢٥٦ ١٣٥ــ حجرات ١٤

١٣٦ــ ان‌هاهنا لعلماً جما (و اشارة بیده الی صدره) . (نهج)

١٣٧ــ العاشقین (تاریخ الحکماء) ١٣٨ــ وهذا والکل (ن ل)

سقونی و قـالـوا لاتغن ولـو سقوا
جبال حنين مـن مـدامـی[١٣٩] لغنت
گويند مرا که مـی خور و مست مشو
ناچار هرآنکه مـی خورد مست شود

و اما الاخبار فاكثر من ان يدخل فی حيزالعدد ، منها قوله صلى‌الله عليه و اله عند وفاته : الرفيق الاعلى والعيش الاصفى والكأس الاوفى ، والطالب للرفيق الاعلى كيف يموت و يفنى و يتمزق و يبلى ، و منها قوله لابنته سيدةالنساء عليها السلام : انك اسرع اهـل بيتی بلقائی[١٤٠] ففرحت بذلك ، ولو لم تكن الروح باقية منهما ما معنى للقائهما ، ولو لم يكن فاطمة عليها السلام عالمة ببقاء الروح ،كيف فرحت بذلك ؟ و منها قوله صلى‌الله عليه واله : الاولياء لايموتون ولكن ينقلون من دار الى دار ، ولاشك ان البدن مايت فايت ، فدل ان الانسان شیء يبقى بعدالموت ، منقولا من دار عمله الى دار جزائه ، و منها قوله صلى‌الله عليه واله : اذا مات ابن ادم ترفرف روحه فوق نعشه فيقول كذا، و كذا الحديث صرح بموت بنی ادم وبقاء روحه مترفرفا ، و منها قوله صلى‌الله عليه واله : ارواح الشهداء فی حواصل طير خضر، تعلف من ثمار الجنة ، ولا يبعد ان يكون الطير اشارة الى العقول المتخلصة عن شباك الابدان ،كما قال : والطير صافات كل قد علم صلوته و تسبيحه[١٤١] وكما قال : والصافات صفا[١٤٢] وكما قال : اولم يروا الى‌الطير فوقهم صافات و يقبضن ما يمسكهن الا الرحمن[١٤٣] و قال : يوم يقوم الروح والملائكة صفا[١٤٤] و قوله : حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم[١٤٥] كل هذه الايات تشير الى العقول المفارقة عن علائق الاجرام و شباك الابدان، و ان يكون الحواصل اشارة الـى قناديـل تحت العـرش ، كمـا وقعت فی رواية اخرى : ان ارواح المؤمنين فی قناديل تحت‌العرش ، يعنی بها

١٣٩ـ ماسقيت (ديوان ابوفراس)
١٤٠ـ لقاء بی (ن م) لقانی (ن ل)
١٤١ـ نور ٤١
١٤٢ـ صافات ١
١٤٣ـ ملك ١٩
١٤٤ـ نبأ ٣٨
١٤٥ـ زمر ٧٥

النجوم الزاهرة ، و انما وصف طيور العقول بالخضرة ، لاتصافها بالمعارف والعلوم الكثيرة الموجبة للارتياح والابتهاج، كروضة انيقة اذا سترت وجهها كثرة المرعى ، و لهذا المعنى يوصف الارواح البشرية بالخضرة ، وكذا يعبر عن معنى الحياة بالخضرة تشبيها بالحياة النباتية ، كما فى قوله : الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً ، فاذا انتم منه توقدون[۱۴۶] وكذا نارالنفس الباقية ، التى تتوقد ذكاء و نورية ، الحاصلة من البدن النامى الرطب الاخضر، لتركبه من الارض السوداء والهواء الصفراء ، و منه اشتقاق الخضر الذى كان معلماً لموسى عليه‌السلام ، و قد جاب الفلوات و قطع الظلمات حتى وصل الى ماء الحياة :

تا همچو خليل اندر آتش نشوى

چون خضر به آب زندگانى نرسى

بعد ان ذبح فرسه و قطع منه جرسه ، و قال لكل واحد من عسكره: خذوا من هذه الجواهر الساقطة الضايعة فى تلك البرية المهلكة ، و من اخذ فقد ندم ، و من لم يأخذ فقد ندم ، هذا متاع الحياة الاخرة ، و اما مثال متاع الدنيا و هو قليل ، و هو كما قال تعالى : ان‌الله مبتليكم بنهر[۱۴۷] النهر هو الدنيا السيالة ، فمن شرب منه فليس منى[۱۴۸] لان اهل‌الله[۱۴۹] حرام وصلهم الى‌الله ، ولم يطعمه فانه منى[۱۵۰] لانى اعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولا اذن سمعت ، الا من اغترف غرفة بيده[۱۵۱] اى الا القدر الضرورى الذى يعيشون به‌فى‌الحياة‌الدنيا‌لزرع‌الاخرة،فانهامزرعتها، ولهذاقيل: سمى‌الخضر خضراً لانه كان اذا صلى فى موضع يخضر، فالخضر نفسك الفاضلة التى بها حياة ارض البدن و خضرتها ، و البدن مصلاها و معبدها ، والظلمات ظلمة القوى الراكدة على وجه الجسمانيات وجوبها[۱۵۲] جهد النفس فى قطع عوايقها ، ليصل الى ماء حياة علم الحقائق والمكاشفات ، و تلك اللالى و الجواهر الساقطة هى المعارف والمشاهدات المخزونة فى مفاتيح الغيب ،

۱۴۶ـ يس ۸۰ ۱۴۷و۱۴۸ـ بقره ۲۴۹

۱۴۹ـ كذافى جميع النسخ و الظاهـر اهل الدنيا

۱۵۰و۱۵۱ـ بقره ۲۴۹ ۱۵۲ـ جوبها اى قطعها

فمن اخذ ندم من حيث انه لم يأخذ اكثر منه ، و من لم يأخذ ، فهو اندم :

لقد طفت فى تلك المعاهـد كلها
و سرحت طرفى بين تلك المعالـم
فـلـم ار الا واضعا كف حـائـر
علـى ذقن او قـارعـاً سن نـادم

و ذبح الفرس فهو قمع شموس الشهوة ، حيث لايمكن الوصول الى تلك المعارف والعلوم الا بقمعها ، و هى البقرة الصفراء التى امر بذبحها بنواسرائيل حيث كانت مستولية عليه ، فلما ذبحت حييت النفس ناطقة بذبحها، كذلك يحيى‌الله الموتى[۱۵۳] والشهوة قد يسمى فرساً جموحاً لشراستها و عدم مطاوعتها للنفس الراكبة عليها ، كما قال حكيم الشعراء :

سگ و اسب است با تو در مسكن
اين گزنده است و آن يكى توسن

اشار بالكلب الى الغضب ، و بالفرس الى الشهوة ، و بالمسكن الـى البدن ، والخطاب للنفس الناطقة الصيادة الغواصة فى بحر هذا العالم لاستخراج الجواهر العلمية و درر المعانى العقلية .

و اما الاثار فقال الحلاج الاسرار فى شعر:

عـاد بـالـروح الـى اربـابهـا
بقى الهيكـل فـى الترب الـرميم

و قال ايضاً :

اقتلونى يا ثقاتـى ان فى قتلى حياتى
فمماتى فـى حياتى و حياتى فى مماتى

اى فى قتل بدنى حياة روحى و بالعكس عكس النقيض ، والا يلزم ان يكون المتضادان واردين فى ان واحد على موضوع واحد ، و هذا محال، و امثال هذه الكلمات الهادية لبقاء الانسان فى‌الدار الاخرة تصريحاً و تلميحا غير محصورة ، فليقنع السالك المسترشد الزكى بهذا القدر ، والواقف الهمة الجامد الفطرة ، الخامد نورالقريحة ، لاينفع معه الكثير ولا الاكثر .

۱۵۳ـ بقره ۷۳

المشهد السادس

فى لمية اختلاف الفلاسفة فى قوام بعض النفوس مفارقاً عن البدن، و دفع القول بدثوره كما نقل عن الاسكندر الافروديسى

اما النفوس التى صارت عقولها الهيولانية عقولا بالفعل فلا شبهة فى بقائها بعد بوار البدن، لان قوامها ليس بالبدن، بل هو حجاب لها عن مالها بحسب الذات من التحقق بكمالها العقلى و وجودها النورى، لان فساد كل فاسد اما بورود الضد عليه، او بزوال احد اسبابها الاربعة من الفاعل و الغاية و المادة والصورة، و شىء من هذه الاقسام غير متصور كماسبق فى حق ما هو عقل بالفعل، اما الاول فلاضد، لما يقوم بذات بلامحل، و اما الثانى فزوال احد اسباب الجوهر العقلى الروحانى غير متصور، لان فاعلها و غايتها هوالاول الحق تعالى و هو ممتنع الزوال، و ليس له مادة لتجرده عن الاجسام، و اما صورته فصورة المفارق نفس ذاته، فذاته باقية ببقاء جاعله القيوم، فثبت ان العقل بالفعل يستحيل زواله، لان ذاته باقية ببقاء قيومه تعالى.

و اما النفوس التى لم يخرج بعد من القوة الى الفعل، فالحكماء اختلفوا فى بقائها و زوالها، فذهب بعضهم كالاسكندر الافروديسى انها تهلك بهلاك البدن، لان دلائل تجرد النفس و خصوصاً التى يبتنى على تصور المعقولات انما تنهض فى العاقل بالفعل والمعقول بالفعل، لا التى من شأنها التجرد والمعقولية، وليس لكل احد من افراد النفوس ان يدرك معقولا من المعقولات من جهة معقوليتها، من غير ان يشوب بالخيال والحس، و ظنى ان مثل هذا الانسان ليس باكثرى الوجود، والشيخ ابوعلى سينا خالف هذا الرأى فى اكثر تصانيفه، محتجاً بان الانسان لايخلو عن ادراك بعض الاوليات، كقولنا : الواحد نصف الاثنين، والكل اعظم من جزئه، فيكون بها حياته العقلية، وله سعادة ضعيفة، و كأنه استشعر بوهن هذا القول فرجع عنه فى بعض رسائله المشتملة على ذكر مجالس سبعة له، عند اتصال ابى الحسن العامرى به، مجيباً عن السؤال بانه : هل يجوز ان يتفرد هذه القول بعد انتقاض القالب بنفسها، او هى متلاشية بقوله : اما مادامت هى بحال

لايمكن ان يبرز فعلها بنفسها بلا مشاركة هذا الهيكل الحامل ، فان قوامها بذاتها محال ، اذلوبقيت بعده و ليس لها فعل يخصها ، لكان بقاؤها بنفسها عبثاً و لغواً ، والوضع الحكمي لايسوق الشيء الى العبث .

حكمة مشرقية

هذا الاضطراب والاختلاف في كلام الفلاسفة انما نشأ من الجهل بمقامات النفس و نشأتها ، فوقعوا في اشكال عظيم غير منحل لهم ، حتى ارتكبوا القول بدثور جميع النفوس الانسانية بعد دثور البدن الا قليلة ندرة كنفوس العرفاء خاصة ، وابطلوا المعاد للناقصين والعوام بل المتوسطين ايضاً ، و هذا قول شنيع يناقض البرهان ، و يخالف الشريعة الحقة الالهية القائلة باعادة الكل ، الناصة بحشر الجميع كما في قوله تعالى : و يوم نحشرهم جميعاً[١٥٤] و قوله : وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا[١٥٥] الى غير ذلك من الايات الكثيرة والاخبار ، و يخالف ايضاً كثيراً من قواعدهم العقلية الحكمية ، مثل اثبات الغايات لكل حقيقة نوعية ، فلو لم يكن النفوس الانسانية محشورة ، لكان وجودها عبثا و ضايعاً ، لان تدبير البدن و حفظ المزاج و غيرذلك انما يكون من التوابع الضرورية لوجود النفس ، لامن غاياتها الذاتية كما حقق في مقامه ، و جمهور الحكماء لما لم يتفطنوا بنشأة اخروية غير النشأة العقلية ، اضطروا الى هذه الاقوال ، فتارة قالوا بفساد النفوس و اضمحلالها عند فساد البدن ، و تارة قالوا بتناسخ الارواح السافلة و المتوسطة .

اما السافلة فالى الاكوان العنصرية من انسان اخر ، او حيوان او نبات او جماد ، و ذلك هوالمسخ والنسخ والفسخ والرسخ .

واما المتوسطة فالى عالم الافلاك ، فتارة قالوا بصيرورة بعض الاجرام الفلكية موضوعاً لتخيلات نفوس الصلحاء و الزهاد من غيران يصير متصرفة فيه ، و بعض الاجرام الدخانية التي تحت فلك القمر موضوعاً لتخيل النفوس الشقية ، واستحسن ابوعلي و غيره هذا القول والتجأوا به اضطرارا ، و نسبه الى من لايجازف في الكلام مشيراً الى ابي نصر الفارابي ، ونحن قداقمنا البرهان

١٥٤ــ انعام ٢٢ ١٥٥ــ كهف ٤٧

على ان العوالم ثلاثة، و المشاعر الادراكية منحصرة في ثلاثة، الحس لعالم الطبيعة والدنيا، والخيال لعالم الحساب والاخرى، والعقل لعالم الماب و العقبى، و اما الوهم فهو يدرك المعاني مشوبة بالحس او الخيال من جهة اضافتها و تعلقها بالمواد، فليس يختص به نشأة، غير نشأة العقل المختلط المقيد بالمادة، فالوهم شبيه بالعقل و ليس بعقل، كما ان الشيطان شبيه بالملك و ليس بملك، والله سبحانه خلق الوجود في نشات ثلاث و عوالم ثلاثة، اولها الدنيا، واوسطها البرزخ، و اخرها العقبى، فالدنيا داثرة هالكة، وكذا الحس، لكونه عبارة عن انفعال الالة، والعالمان الاخران باقيان، و كذا الخيال والعقل، وقد اقمنا البرهان على تجرد القوة الخيالية عن البدن الطبيعي و عالمه، فضلا عن تجرد القوة العاقلة، فالنشأة المتوسطة بين النشأة العقليات والنشأة الحسيات هي معاد النفوس المتوسطة بين الملائكة و بين الحيوانات اللحمية، فهي مع تجردها عن هذا الابدان غير متجردة عن التعلق بالابدان المعلقة، فيبقى بحيوانيتها في دارالجزاء مثابة او معاقبة، و ان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون[١٥٦].

المشهد السابع

في ان لكل انسان نفساً واحدة

من الناس من زعم ان فينا نفساً انسانية مجردة، واخرى حيوانية، و اخرى نباتية، والجمهور على ان النفس فينا واحدة هي الناطقة فقط، ولها قوى و مشاعر و الات، فان لك ان تقول احسست فغضبت، و ادركت فحركت، فمبدأ الكل انت. و انت نفس شاعرة، وكل القوى من لوازم هذه، وكلا القولين رفع عن الثواب.

حكمة عرشية

النفس الانسانية لكونها من سنخ الملكوت، فلها وحدة جمعية هي ظل للوحدة الالهية، فهي بذاتها قوة عاقلة، و قوة حيوانية متخيلة و حساسة

١٥٦ـ عنكبوت ٦٤

وقوة نباتية غاذية و منمية ، و قوة محركة ، و طبيعة سارية فى الجسم ، كما قال معلم الفلاسفة : من ان النفس ذات اجزاء ثلاثة ، نباتية وحيوانية ونطقية، لا بمعنى تركبها عن هذه القوى ، لانها بسيط الحقيقة ، بل بمعنى كمال جوهريتها و جامعية ذاتها البسيطة لهذه الحدود الصورية ، فالنفس ذات شؤون ذاتية ، تنزل الى درجة الحواس عند ادراكها للمحسوسات و استعمالها لالات الحواس ، فهى عند الابصار عين باصرة ، و عند السماع اذن واعية ، وكذا عند الذوق والشم واللمس والتحريك ، لان لها بحسب ذاتها ما هو مبدأ الكل من هذه القوى و الالات ، وكذا يرتفع عند نيلها للمعقولات الى مقام العقل الفعال ، صايرة اياه ، متحدة به على نحو ما يعلمه الراسخون ، و من لم يبلغ الى مقامهم و حالهم ، يزعم انه لوكان الامر كذلك ، لكانت النفس متجزية ، و لكان العقل الفعال منقسما حسب تعدد النفوس العاقلة ، او يكون كل واحدة من هذه النفوس يعلم ما علمته غيرها ، والبرهان النورى كاشف لحجب هذه الوساوس والاوهام عن وجه الحق بحمدالله تعالى .

و ما احسن ما قيل فى التمثيل : من ان العقل الفعال كشمس تأثر بيت ذوكوة عنها بالشعاع، واخر به و بالتسخين ، واخر بهما و بالاشتعال ، لكبريتة فيه ، فهذا مثال مراتب اثارالعقل فى النبات و الحيوان و الانسان ، فكما ان النور الشديد يشتمل على مراتب الانوار التى دونه ، و ليس اشتماله عليها كاشتمال المركب على بسيط ، ولا كاستلزام الاصل لفروع مباينة ، فكذلك الوجود القوى جامع لما فى الوجودات الضعيفة المراتب ، فيترتب عليه ما يترتب عليها مع زيادة ، فهكذا يزداد الاثار باشتداد القوة و فضيلة الوجود .

تذكرة

النفس الادمية مادام كون الجنين فى الرحم ، درجتها درجة النفوس النباتية على مراتبها بعد تخطى درجة الطبيعية الجمادية ، فالجنين حينئذ نبات بالفعل و حيوان بالقوة اذ لاحس ولاحركة ارادية بالفعل ، و بهذه القوة يمتاز عن سائر النبات ، و اذا خرج الطفل من جوف امه صارت نفسه فى درجة النفوس الحيوانية الى اوان البلوغ الصورى ، والشخص حينئذ حيوان بالفعل

انسان بالقوة ، ثم يصير مدركة للاشياء بالفكر والروية الى اوان البلوغ المعنوى و الاشتداد العقلى فى حدود الاربعين غالبا ، ان كان فيها استعداد الارتقاء الى حد النفس القدسية ، فهو حينئذ انسان بالفعل و ملك بالقوة، والا فهو اما شيطان او غيرهما بالقوة ، و بالجملة ان ساعده التوفيق و سلك سبيل القدس ، و بلغت نفسه الى مرتبة القوة القدسية ، يصير بعد الموت ملكا بالفعل من ملائكة الله ، و ان ضلت عن الطريق اليه تعالى و غوت ، يصير اما شيطانا من الشياطين ، او يحشر مع الحشرات .

حكمة مشرقية

ان الانسان يتنوع باطنه فى كل حين ، والناس فى غفلة عن هذا ، الا من كشف الله الغطاء عن بصيرته فى هذه الدنيا ، و اما الاكثرون فانهم كمادل عليه قوله تعالى : بل هم فى لبس من خلق جديد[١٥٧] حتى ابى على بن سينا و من فى طبقته من الفلاسفة هذا المعنى قد سأله تلميذه بهمنيار فى مفاوضة وقعت بينهما عن تجويز تبدل الذات فنفاه ، والحق فى هذا المقام مع التلميذ ، واما قوله الزاماً : فلست المسؤول عن ذلك فلم يلزمنى جوابك ، فليس بحق ، فان للنفس جهتين لتعلقها بالجنبتين العقل و الطبيعة ، فمن جهة تعلقها بالجنبة العالية والجانب الايمن باقية مستمرة ، و من جهة تعلقها بالجنبة السافلة والجانب الايسر متجددة سايلة ، و هاتان الجهتان ذاتيتان للنفس مادامت نفسيتها ، لا عرضيتان ، و كل من رجع الى وجدانه وجدان هذه الهوية الحاضرة منه غيرهويته الماضية ولاالاتية، لابمجرد اختلاف العوارض ، بل باختلاف شؤونات لذات واحدة على مثال الشؤونات الافعالية للحق تعالى ، المشاراليه فى قوله تعالى : كل يوم هو فى شأن[١٥٨] و قوله : سنفرغ لكم ايها الثقلان[١٥٩] و فى القران ايات كثيرة تدل على تقلب الانسان فى نفسه و تحوله فى جوهره ، مثل يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه[١٦٠] و

١٥٧ــ ق ١٥
١٥٨ــ رحمن ٢٩
١٥٩ــ رحمن ٣١
١٦٠ــ انشقاق ٦

قوله: و ينقلب الى اهله مسروراً[١٦١] و قوله: كل اتيه يوم القيامة فرداً[١٦٢].

حكمة عرشيه

انظر الى هذا الهيكل المشحون بالحكم الالهية، و اقرأ ايات هذا الكتاب المملو من العلوم الربانية، و تأمل فى هذا الميزان الموضوع تحت السماء بالقسط، اقرأ كتابك و احسب حسابك، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً[١٦٣] فلعلك تعرف بهذا الميزان وزن حسناتك و سيئاتك، و اعمل بقوله عليه واله السلام: حاسب نفسك قبل ان تحاسب غدا، و تفكر فى هذا الصراط اولا، ثم امش عليه الى الله، فانه صراط العزيز الحميد، و تدبر فى قوله: و هذا صراطى مستقيما فاتبعوه[١٦٤] ففى معرفة النفس الادمية قرائة كتاب الانسانية، و هو الكتاب الذى فيه الحكمة و فصل الخطاب، تظفر بالمقصود و تهتدى الى اصل الوجود، و تفتح لك ابواب السماء و الملائكة يدخلون عليك من كل باب، و تدخل الجنة بغير حساب، وان كنت لاتحس[١٦٥] ان تقرأ هذا الكتاب، و قد اوجب الله عليك قرائته، او لاتقدران تزن بهذا الميزان، و لا تعلم كيف تحسب هذا الحساب، و قد امرك به رسوله، او كيف تجوز على هذا الصراط، و قد كلفت باتباعه والمشى عليه، فاحضر مجلس اخوان لك ناصحين مبشرين لك، والزم طريقتهم و اهتد بهداهم، و ارفع عنك حجاب العصبية والجحود، و اخلع عن نفسك لباس التقليد حتى يعلموك ما علمهم الله، و يعرفوك ما عرفوا من الحق، فتعمل بسنتهم الحسنة، و تسير بسيرتهم العادلة، فتنظر بعين البصيرة لابغيم التقليد فى حقايق الاشياء كما نظروا، و تتفقه فى دين الله كما تفقهوا، و تدخل مدينة العلم والحكمة كما دخلوا، و تنجو من عذاب القبر كما نجوا، و تحيى بنور المعرفة كما حيوا و حسن اولئك رفيقا[١٦٦].

١٦١ـ انشقاق ٩
١٦٢ـ مريم ٩٥
١٦٣ـ اسراء ١٤
١٦٤ـ انعام ١٥٣
١٦٥ـ تحسن (ن م)
١٦٦ـ نساء ٦٩

المشهد الثامن
فی الاشارة الی بطلان التناسخ للنفوس

اعلم ان التناسخ یتصور مفهومه علی ثلاثة انحاء :

احدها انتقال نفس من بدن الی بدن متباین له منفصل عنه فی هذه النشأة ، بان یموت حیوان و ینتقل الی حیوان اوغیر الحیوان ، و سواءکان النقل من الاخس الی الاشرف او بالعکس ، و هذا مستحیل بالبرهان لما سنذکره .

و ثانیها انتقال النفس من هذا البدن الی بدن فی الاخرة مناسب لملکاتها و اخلاقها المکتسبة فی الدنیا ، فیظهر فی الاخرة بصورة ما غلبت علیها صفاته ، کما ستنکشف لك فی تحقیق المعاد الجسمانی ، والتناسخ بهذا امر محقق عند ائمة الکشف والشهود ، منقول من ارباب الشرایع والملل الحقة ، و علیه ما ورد فی القران الکریم من ایات کثیرة فی هذا الباب ، لاعلی ما حمله التناسخیة من تردد النفوس فی الابدان بحسب هذه النشأة ، و ظنی ان التناسخ المنقول عن اساطین الحکمة کافلاطن و من سبقه من الحکماء، الذین اقتبسوا انوار حکمتهم من مشکوة نبوة الانبیاء سلام‌الله علی نبینا و علیهم اجمعین، کان المراد منه هذاالمعنی الذی اومانا الیه، فانهم لما شاهدوا ببصایرهم بواطن النفوس و الصور ، و توجهها الی النشأة الاخرة ، ورأوا ایضا بنور عرفانهم کیف یحصل النفوس صفات نفسانیة بواسطة سبق اعمال جسمانیة ، تکرر صدورها عنها تکلفا و مشقة ، حتی رسخت و صارت ملکات تصدر عنها الافاعیل بسهولة ، فعلموا بضرب من الکشف ان النفوس تحشر علی صور صفاتهم الغالبة ، کما اشیر الیه بقوله تعالی : نحشرهم یوم‌القیامة علی وجوههم[١٦٧] ای علی صورالحیوانات المنتکسة الرؤس ، و قوله : و اذا الوحوش حشرت[١٦٨] و قوله : تشهد علیهم السنتهم و ایدیهم و ارجلهم بما کانوا یعملون[١٦٩] و قوله : قالوا لجلودهم لم شهدتم علینا[١٧٠] و قوله : الیوم

١٦٧ــ اسراء ٩٧ ١٦٨ــ تکویر ٥

١٦٩ــ نور ٢٤ ١٧٠ــ فصلت ٢١

نختم على افواههم و تكلمنا ايديهم و تشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون[۱۷۱] .

و فى الحديث عن النبى صلى‌الله عليه واله : يحشر الناس على نياتهم، يحشر بعض الناس على صور يحسن عندها قردة والخنازير ، كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون، فهذاهومسخ البواطن، من غيران ينقلب صورته فى الدنيا ، فترى الصور فى الظاهر اناساً، وفى الباطن غير تلك الصور، من ملك او شيطان او كلب او خنزير او اسد او غير ذلك من حيوان مناسب لما يكون الباطن عليه ، و هذا المسخ كثير فى كل زمان و فى اكثر الامم قال النبى صلى‌الله عليه واله فى صفة قوم عن امته : اخوان العلانية اعداء السريرة، السنتهم احلى من العسل ، و بواطنهم امرمن الصبر ، قلوبهم قلوب الذئاب، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، فهذا هو مسخ الباطن من كون قلب الشخص قلب ذئب ، و صورته صورة الانسان ، والله العاصم من هذا القواصم.

و ثالثها ما يمسخ الباطن ، و ينقلب الظاهر من صورته التى كانت الى صورة ما انقلب اليه الباطن ، لغلبة القوة النفسانية ، حتى صارت بغير المزاج والهيئة عما كانا عليه ، الى شكل ماهو على صفته من حيوان اخر ، و هذا ايضاً جايز ، بل واقع فى قوم غلبت قوى نفوسهم الشهوية او الغضبية او الشيطانية ، فصاروا قردة و خنازير و عبد الطاغوت ، و هذا مما كثر فى امة موسى عليه‌السلام كماان مسخ البواطن فقط ، قدكثر فى هذا الزمان ، و قد اخبرالله تعالى عن هذا المسخ بقوله : و جعل منهم القردة والخنازير[۱۷۲] و قوله : كونوا قردة خاسئين[۱۷۳] .

حكمة عرشيه

اما البرهان العرشى على بطلان التناسخ بالمعنى الاول ، فهو انك قد علمت فيما مضى من القول : ان النفس فى اول الكون درجتها درجة الطبيعة الجرمية ، ثم تترقى شيئاً فشيئاً حسب استكمالات المادة ، حتى تجاوز درجة النبات والحيوان ، فالنفس متى حصلت لها فعلية لامر حسى او خيالى اوعقلى،

۱۷۱ــ يس ۶۵
۱۷۲ــ مائده ۶۰
۱۷۳ــ بقره ۶۵

فيستحيل ان يرجع تارة اخرى الى القوة المحضة والقابلية الصرفة اياه ، و كل نفس قد مرانها بحسب النشأة الثانية قوة محضة ، ثم تصير لها ملكة ادراك الاوليات والانتقال الى النظريات ، فمتى بلغت الى حد ما من حدود الوجود فمحال ان يرجع عنه ، و قد تحقق ايضاً ان الصورة والمادة شيء واحد ، له جهتا : فعل و قوة ، و هما معاً يتحركان و يتدرجان فى الاستكمال ، ويتحولان فى اطوار الكمال ، و بازاء كل استعداد فعلية خاصة ، و على حذاء كل بدن نفس معينه ، فمن المحال ان يتعلق نفس تجاوزت درجات النباتية والحيوانية الى مادة المنى والجنين ، و قد علمت ان المنى لم يتجاوز صورته حدالطبيعة الجرمية ، و ان الجنين مادام فى الرحم لم يتجاوز صورته درجة النفس النباتية ، والتمنى الذى حكىالله تعالى عن الاشقياء بقوله : ياليتنى كنت ترابا[١٧٤] تمنى امر مستحيل الوقوع ، و كذا ما حكى بقوله : فهل .... نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل[١٧٥] فقد حرمالله الرجوع الى الدنيا عليهم، اذ لا تكرار فى الفيض والجود ، و لا تعدد اصلا فى تجلى الوجود ، و اما تصور النفوس فى القيامة بصورة مناسبة للملكات والاخلاق ، فليس هذا من باب نقل النفوس من بدن الى اخر ، و حركة من مادة الى اخرى ، بل من باب بروز المعاني من الباطن الى الظاهر فى صور يناسبها ، فان لكل معنى صورة ، و لكل غيب شهادة ، ففى الدنيا حصلت المعانى من الاجسام بواسطة حركاتها و استعداداتها ، و فى القيامة حصلت الاجرام من المعانى ، كالظلال من الاشخاص على منهج اللزوم لا بالحركة والاستعداد ، و سيظهر لك هذا المطلب عند تضاعيف ذكر نشأة الاخرة .

المشهد التاسع

فى ضعف ماقيل فى هذا الباب و دفع الحجج الخصوم

اعلم ان المشهور فى بيان استحالة التناسخ و بطلان النقل : ان البدن اذا حصل له مزاج يستحق من الواهب نفساً فاذا قارنته نفس منتقلة ، كانت لبدن واحد نفسان ، و البرهان والوجدان يكذبانه ، والمباحث ان يمنع

١٧٤ـ نبأ ٤٠ ١٧٥ـ اعراف ٥٣

الحاجة الى فيض جديد اذا انتقلت اليه نفس تجاوزت من النبات الى الحيوان، فصعدت الى رتبة الانسان ، فان دفع هذا بان مزاج النبات اذا استدعى نفساً فمزاج الانسان اولى ، فله ان لايسلم هذه الاولويات في عالم الحركات والانتقالات[١٧٦] اذ كثيرا ما يتخلف الشيء عما هو اولى به لامر اتفاقي .

ثم له ان يقول بعد تسليم ان المزاج الاشرف يستدعى النفس الاشرف: انها هى التى جاوزت الدرجات النباتية والحيوانية .

اقول : هذا منقوض بنفوس الفلكيات ، فان اجسادها شريفة فى الغاية، و لم ينتقل اليها من النبات و الحيوان نفس ، ثم انا نساعده فى هذا القول، لان المزاج الانسانى لا يحصل الا بعد المزاج الحيوانى ، و هو لا يحصل الا بعد المزاج النباتى والمعدنى ، وهلم الى درجة الطبيعة الجسمية والهيولى التى قبلها ، كما فى استحالات النطفة و استكمالاتها ، فان اراد بتجاوز الدرجات النباتية و الحيوانية هذا المعنى ، فهو كذلك فى النفس الانسانية على ماسبق من طريقتنا ، كما اشير اليه بقوله تعالى : هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سمعياً بصيرا[١٧٧] و قوله : و قد خلقتك من قبل و لم تك شيئا[١٧٨] فان اريد بماذكره الانتقالات النفسانية فى مادة واحدة حسب تزايد الاستعدادات لها و تكامل الدرجات فيها ، فهو امر واقع بلاشبهة ، ولو سمى هذا تناسخاً فلا نزاع فى التسمية ، و ان اريد به انتقال النفس من جسد الى جسد منفصل عنه فهو معلوم الفساد مما مر ، و هذا البحث والذى قبله ، و ان كانا على الالسنة[١٧٩] لكن الغرض التنبيه على كشف الحال و سير المقال .

و اما حجة اهل التناسخ ، فمنها : ان الجهال و الفجرة لو تجردوا عن الابدان و الاجرام و عن قوة مذكرة لقبائح افعالهم و جهالاتهم ، مدركة لملكاتهم وارائهم ، فتخلصوا الى عالم الملكوت و وجدوا الروح الاكبر والراحة العظيمة ، فاين الشقاوة والعذاب لهم ؟

والجواب بطريق عرشي : ان القوة الخيالية مجردة عن الابدان كما مر،

١٧٦- الاتفاق (ن م ل)
١٧٧- انسان ١ و ٢
١٧٨- مريم ٩
١٧٩- السنه (ن م ل)

فضلاً عن الوهمية الذاكرة ، فهى مولمة لهم مذكرة لاقترافاتهم و سيئاتهم، ولهم ابدان اخروية حشروا اليهاً ، و يعذبوا فيها بانواع العذاب ، و تألموا بالام مناسبة لاعمالهم .

قال بعض علماء الشريعة : ان النفس اذا فارقت البدن ، تحل[١٨٠] معها القوة الوهمية بتوسط النطقية ، فيكون حينئذ مطالعة للمعانى المحسوسات، لان تجردها من هيات البدن عند المفارقة غيرممكن ، و هى عندالموت متخيلة شاعرة بالموت ، و بعد الموت متخيلة نفسها مقبورة ، و يتصور جميع ما كانت يعتقده حال الحياة ، و يحس بالثواب والعقاب فى القبر . انتهى كلامه و هو مؤيد لما ذكرناه .

حجة اخرى لهم

ان الفسقة والاشرار ربما اطلعت نفوسهم عند قلةالشواغل بمنام اومرض او خلل ، بشىءمن الامور الغيبية لاتصالهم بالملكوت، فاذا زال المانع البدنى بالموت و تجردوا من غير انتقال الى بدن اخر ، فازوا بالدرجات العالية، فلا يكون لهم شقاوة ، والاعتذار بان الهيئة الردية يمنعهم عن الوصول اليها، مدفوع بان الهيئات لم لم يمنعها مع الشواغل البدنى و منعها بدونه ؟

والجواب بما مر من اثبات دار اخرى جسمانية متوسطة بين العالـم الاسفل و العالم الاعلى ، فيها نعيم السعداء و جحيم الاشقياء ، و عذاب الاخرة اكثر ايلاماً للفسقة و الاشرار ، و اشد غشياناً و استغراقاً لهم ، فكثرة الدواهى و شدة المصائب يمنعهم عن مطالعة الملكوت و الاتصال بهم .

حجة اخرى

قالوا : ليس للحيوان عضو الا و للحرارة سلطان عليه بالتحليل، فليس لاحدان يقول الفرس لايزال ينتقص فرسيته ، ثم ان للحيوانات عجائب افعال و حركات ذهنية ، فانظر الى النحل و مسدساته ، و العنكبوت و مثلثاته، و منسوجاته ، والقردة والببغاء[١٨١] ومحاكاتها لافعال العقلاء واقوالهم ، و غيرذلك من تكبر الاسد و سماع الابل و فراسة الفرس و وفـاء الكلب و

١٨٠ــ كذا فى النخستين المخطوطتين و المطبوعة، والظاهر تحمل، اى تصحبها، و فى الاسفار: وحملت القوة الوهمية .
١٨١ــ طوطى

حيلة الغراب ، اهذه كلها بكيفية المزاج او بطبيعة جرمية لا يريب عاقل فى امتناع ذلك ؟ و كذا احتراز الغنم عن الذئب ، ان كان عن شخص جزئى منه يحفظ فى الخيال ، فلم يكن يحترز عما يخالفه فى المقدار و الشكل واللون، و اذ ليس ، فعن معنى كلى يستلزم نفساً مجردة لم يجز فى العناية الالهية اهمالها ، دون الارتقاء الى رتبة الانسان التى هى باب الملكوت ، و مفتاح خزائن الجنة ، الدخول الى السعادة العقلية عند المفارقة .

والجواب :ان لكل حيوان ملكا يلهمه و يوحيه و هاديا يهديه ، و قائداً يسوغه الى خصائص افاعيله العجيبة كما فى قوله : و اوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا[١٨٢] و بعض هذه الافاعيل غير مستبعد عن ذوات المشاعر الجزئية ، على انا لاننكر ان يكون لاعداد من الحيوان قريبة الدرجة الى اوائل رتبة الانسان ، حشر الى بعض البرازخ السفلية الاخروية .

تذنيب

اعلم ان الكلام فى مباحث هذا المقام طويل ، و ذكر تفاصيل مذاهب التناسخية و حجج كل فريق منهم ، و مناقضة كل رأى من ارائهم يؤدى الى اطناب ، فطوينا عنها كشحاً ، اقتصاراً على ما يكفى لطالب الاستبصار و صرفا للاوقات فيما هو الاهم والاحرى لسالكى عالم الانوار .

ثم اسخف الفلاسفة رأيا فى التناسخ ، و اقلهم تحصيلا و ابعدهم تحريفا عن طريق الحق ، طائفة ذهبوا الى امتناع مفارقة شىء من النفوس عن الابدان لانها جرمية السنخ مترددة فى اجساد الحيوانات ، فيقال لهم : ان هذه النفوس ان كانت كلها منطبعة ، فمع مصادمته للبرهان القائم على تجرد النفوس الانسية ينا فى مذهبهم ، لامتناع انتقال الصور و الاعراض من محل الى اخر، و ان كانت كلها او الانسية منها مجردة الذوات ، فالعناية مقتضية لايصال كل موجود الى كماله و غايته ، و كمال الانسان انما يحصل له فى النشأة الثانية، سواء كان سعيداً او شقيا ، اما الذين سعدوا ففى الجنة ، و اما الذين شقوا ففى النار ، و سيأتى زيادة تبصرة .

١٨٢ـ نحل ٦٨

المفتاح السادس عشر

فى الاشارة الى ملكوت السماء، لانه من منازل سفر الانسان الى المقام الاسنى، و اثبات النفوس الفلكية و عقولها المفارقة، و فيه مقدمة و لمعات:

المقدمة

ان الابعاد والاجرام ينحصر عند الحكماء ذوى الانظار فى قسمين: قسم مركب و قسم بسيط، و يعنون بالمركب كل جسم قوام وجوده و تحصل نوعيته بسبب اجتماع اجسام مختلفة الطبايع والانواع، مثل الحيوان والنبات، و يعنون بالبسيط ما وجوده و نوعيته ليس كذلك، فلاينحل فى الوهم ولا فى العقل الى اجسام، مثل الماء والارض المحضة و غير ذلك، و اما الحجارة و ما اشبهها فان الحس يتوهم انها متشابهة الاجزاء و ليست كذلك، فان الامتحان بالنار يعرف انها منحلة الى جوهرين جسميتين، ثم الاجسام البسيطة عندهم مركبة من جوهر يسمى مادة و فى لغتهم هيولى، و من متمم لهذا الجوهر بالفعل من جوهر يسمى صورة، و اذا اجتمعتا حصل منهما الجسم المهيا لقبول الاعراض الجسمانية، سواء كانت فلكية او عنصرية، ونظرهم فى الاجسام مقصور على هذه الاجسام الدنياوية، لعدم عثورهم على اجسام الاخرة.

والتحقيق: ان كلها بسيطة لاتركيب فيها اصلا، لامن المادة والصورة، ولا من الاجسام المتخالفة الطبايع، لان كلا منهما صورة محضة بلامادة، فكل واحد من حيوانها او اشجارها و يواقيتها و احجارها و اراضيها و مياهها

اجسام بسيطة صورية ، لاتركيب فيها ولا قوة ولا استعداد لها ولا انفعال، لانها بمنزلة عكوس فى المرايا الصيقلية راها اهل الاخرة ، رؤية اصدق من رؤية اهل الدنيا لهذه الاجسام البسيطة و المركبة ، و اشكالها و احوالها، واشبه الاجسام باجسام الاخرة من هذه الاجسام البسيطة هى السماوية ، سيما ما هو فوق الجميع ، و نحن بصدد النظر فى جواهرها و الكشف عن بعض احوالها ، لان معرفتها تعين على معرفةالله و كيفية عنايته بالاشياء ، و قد جعلها وسيلة لارزاق الخلايق ، كما قال : و فى السماء رزقكم و ما توعدون[1] و كيفية صدور هذه المتجددات و المتغيرات عنه تعالى مع احديته و امتناع تغيره بوجه بواسطتها ، و على العلم بانها فى دوام حركاتها و اشواقها و انتقالاتها و دؤبها فى طلوعها و غروبها و ارتفاعها و انخفاضها بلا فتور ولا لغوب ولا اعياء ، يتقربون اليه و يزلفون لديه ، و يطلبون ما عنده ، ولان الله سبحانه قد اثنى على المتفكرين فى خلق السموات والارض ، و الناظرين الى ملكوتها ، فقال : الذين .... و يتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا[2] و قال : اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض[3] و غير ذلك من الايات ، و بها يعلم ايضاً كيفية نشو الاخرة من الدنيا ، الذى هو من اعظم المقاصد واهم المطالب .

اللمعة الاولى

فى ان جرم السماء وما فيها اشرف من‌سائر الاجسام الطبيعية

لما كان كل جسم طبيعى له حركة ذاتية نحو شىء يخصه دون غيره و ذلك لما تقرر و تكثر ذكره من كون جميع الموجودات ماسوى الاول مفتقرة اليه ناقصة فى ذاتها ، و كل ناقص مركوز بحسب ما اودع الله فى جبلته طلب الكمال الذى يخصه و يليق به ، عناية من‌الله و رحمة بخلقه ، و كمال الجسم بما هو جسم لايكون الا فى تحيزه[4] بحيزه ، و تكونه فى مكانه و فى كمه و شكله و وضعه و كيفه و ما يجرى مجرى هذه الامور ، فكل جسم‌له

١ــ ذاريات ٢٢
٢ــ آل عمران ١٩١
٣ــ اعراف ١٨٥
٤ــ بتحيزه (ن م)

كمال ذاتى لايتصور وجوده بدونه، و له كمال ثان يطلبه و يتحرك[٥] نحوه من هذه الابواب المذكورة، وادناها الاضافة الى مكان خاص دون سائر الامكنة، لامتناع تجرده عن الجميع و تكونه فى الجميع، فكل جسم له فى جوهره و ذاته مبدأ حركة ذاتية نحو مكان فارقه عند المفارقة، و سكون ذاتى فيه عند المصادفة، و هذا المبدأ يسمى عند طوائف الفلاسفة بالطبيعة، فكل جسم له طبيعة، و لهذا يقال: له جسم طبيعى، و عرفوها بانه مبدأ اول للحركة والسكون فى الشىء الذى هو فيه اولا و بالذات لا بطريق العرض، و هذا تعريف جنس الطبيعة المشتركة فيها الاجسام بما هى اجسام.

و اما الطبايع الخاصة فقد وجد فيها صفات ذاتية زايدة على ماذكر، و لفضيلة بعضها يصدر منها اثار شريفة من غير هذه الامور، لان طبيعة كل جسم عندنا امر واحد يصدر عنه جميع اثاره و لوازمه، سواء كان من باب الحركات و الاستحالات او غيرها، و ان لم يقع عليه اسم الطبيعة الا من جهة صدور الحركات عنه، و بالجملة لايخلو جسم من الاجسام من مبدأ حركه و سكون فيه هو المسمى بالطبيعة، و هو عين الصورة المنوعة له، والاجسام الطبيعية التى هذه صفتها، هى منحصرة فى الاجرام السماوية، و الاسطقسات الاربعة التى هى النار والهواء والماء والارض، والمركبة من هذه الاربعة الاسطقسية، و كانت لكل من هذه الاربعة حركة ذاتيه اذا كان خارجاً عن مكانه الخاص به نحو الشىء الملائم له، و هو المكان الذى فيه كليته وله سكون و اطمينان عنده اذا حصل فيه، فله اذاً طبيعة تخصه هى مبدأ حركته و سكونه، و كذا حكم المركبات بحسب المكان للجزء الغالب، اذا التركيب لا يخرج الشىء عن امكنة اقتضته طبايع الاجزاء، بل توجب تصالحها على حد متوسط يوافقها فى الجملة، والاجرام العلوية اذ هى اجسام طبيعية، فلها حركة ذاتية، لما علمت ان الممكن سيما الجسم لايخلو عن قصور و نقص، والعناية افادت لكل منها ما يجبره على طلب الكمال و تحركه نحو التمام، فلها اذن طبيعة هى مبدأ حركتها، لكن حركتها ليست نحو المكان لوقوعها فيه دائما، ولامنه اذ لا يدفعها دافع، ولا يخرجها عن مكانها الاولى بها

٥ـ يتحرى (ن م ل)

مخرج ، فلابد ان يكون حركتها ضرباً اخر من الحركة .

ثم انه لما كانت طبيعة كل من العناصر مخالفة لطبيعة اخر ، من قبل ان حركته مخالفة لحركة الاخر، اذ لايتحرك حيث يتحرك الاخر، فلا يسكن حيث يسكن الاخر ، و اختلاف الاثار دليل اختلاف المؤثرات ، و حركة الاجرام العلوية مخالفة لحركة العنصريات ، فطبيعتها مخالفة لطبايع هذه الاجرام السفلية ، فاذا كانت هذه اربعة ، فتلك خامسته ، والنار خفيفة على الاطلاق ، والارض ثقيلة على الاطلاق ، لان حركة تلك من المركز ، و هذه الى المركز ، والهواء خفيفة بالقياس ، والماء ثقيل بالقياس، فلكل منها حصة من الخفة و حصة من الثقل ، كالماء الفاتر الذى له نصيب من الحرارة و البرودة جميعاً ، والاجرام العلوية لا خفيفة ولا ثقيلة ولاحارة ولا باردة ، لانها خارجة عن جنس هذه الامور ، اذ لايتحرك من المركز ولا اليه ، بل يتحرك عليه ، والحركة من المركز والى المركز مستقيمة ، والحركة عليه مستديرة، فالحركة فى هذه الاجسام توجد على ضربين: المستقيمة والمستديرة، و المستديرة اشرف من المستقيمة ، لانها يحتمل الدوام ، و هذه واجبة الانقطاع ، والاشبه بالسرمدى الدائم افضل من المنقضى المنصرم ، و اذا كان كذلك فالطبيعة التى هى مبدأ المستديرة اشرف من الطبيعة التى هى مبدأ المستقيمة ، والجسم المتحرك بها افضل من الجسم المتحرك بهذه ، و اذا كان الامر كذلك فالاجرام السماوية و طبايعها افضل من الاجرام العنصرية و طبايعها ، والطبيعة هى الصورة بعينها كما علمت، واشرف الصور لاشرف الموضوعات، فقد صارت الاجرام العلوية اشرف من الاجسام العنصرية، طبيعة و صورة و موضوعاً و حركة .

اللمعة الثانية

فى ان السماء حيوان مطيع لله فى حركتها المستديرة

فنقول : بعد ما قررنا ان الجسم المتنفس الحى افضل من الجسم الغير المتنفس الميت ، كما يحكم عليه كل احد بحسب اول فطرته ، وقد وجدنا فى العنصريات المركبة متنفساً و غير متنفس ، و تبين فيما ذكر: ان الاجرام

العلوية افضل العنصريات ، فهى اذا متنفسة ذوحياة ، و الا لكان بعض ما هو دون الشىء فى الفضل افضل منه و هذا محال ، و اذا كان متنفسة ، فطبيعتها التى هى مبدأ حركتها انما هى نفسها ، لان طبيعة كل متنفس بما هو متنفس نفسه ، و الحى انما هو جسم ذو نفس ، فالاجرام الاثيرية كلها حية لاميت فيها لما ستعلم ، و مما يوضح ما ذكرنا من كون الاجرام العلوية كلها حية، ان المانع من قبول الفيض الافضل الذى يكون فى الاجسام هو التضاد و التفاسد فى البسائط ، والكثافة الطبيعية الحاصلة عن البعد عن الاعتدال ، الاترى ان الاجسام البسيطة المتضادة اذا امتزجت ازدادت فى قبول الفيض الربانى ، حتى اذا امعنت فى الخروج عن التضاد و توسطت الى حاق الاعتدال استعدت لقبول الذات الفيض ، اى الجوهر الحى ، و هو الروح النطقى ، فما ظنك باجرام كريمة صافية دورية الحركات دائمة الاشواق ، يترشح من حركاتها و اشواقها البركات و الخيرات على مادونها ، و معلوم ان التأثير الالهى و الفيض الربانى يظهر اولا فى العرش الاعظم الذى بمنزلة قلب العالم ، وقد ورد : ان القلب عرش الله ، و يبدأ الفيض من الجرم الاقصى ، فيمر بالافلاك و بتوسطها يصل الى الاجسام الارضية ، على ما اوضحته افاضل الفلاسفة ، ولو لم يكن فى عالم السموات من الشرف والفضيلة ما ليس لغيرها من الجرميات ، لما جرى على لسان اكثر المليين والامم : ان الله على السماء ، ولم ترفع اليها الايدى فى الدعاء ، و لما ورد قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى[6] .

و اما الاجرام الاسطقسية الكائنة الفاسدة التى هى تحت السماء الدنيا، فلم تصلح لبعدها عن الصفاء والضياء ، و تضادها فى الصور والكيفيات ، الا ظل ذلك الفيض ، و هى الطبيعة السايلة المستحيلة المتجددة المنفعلة على الدوام لاتستقر على وجودها ابداً ، ثم تخلصت و بعدت من التضاد بالتركيب قبلت زيادة من الفيض ، حتى ينتهى الى باب العالم الارضى الذى كشجرة طيبة اصلها ثابت و فرعها فى السماء ، و هو الانسان ، و اذا بلغ الى درجة العقل و المعقول اتصل بالروح الاعظم والفيض الاتم ، كاتصال الفلك

٦ــ طه ٥

بالملك، فظهر ان الفلكيات لها نفوس شريفة كما سنبينه من مأخذها بوجه برهانى

اللمعة الثالثة

فى ان اى النفس يخص الاجرام الفلكية، و اى حيوة يليق بها، و هل كلها ذوات انفس ام الكواكب وحدها دون الاجرام[٧] و بالعكس، و على اى وجه تحركها نفسها الحركة الجسمانية التى هى الدوران، وكان الاليق بها بحسب جوهر نفسها انما هو العقل والتميز العلمى

فنقول : لما وجدنا كل ذى طبيعة يشتاق نحو شىء متحرك ، هو اليق الاشياء بان يتشبه به ، و عند حصوله عنده تقف حركته ، و هذا بمنزلة الماء ، فانه يتحرك نحو المكان الموافق له فى بقاء صورته ، وهو مابين الهواء الذى يوافقه برطوبته ، والارض التى يوافقه ببرودتها ، و كذلك فى باقى الاسطقسات ، والحيوان ايضاً فانه يشتاق بحسب جسمه الى الشىء الذى موافق[٨] لجسمه فى بقائه ، و بحسب نفسه الى ما يتصرف به[٩] نحو المطالب النفسية فلنذكر غايات القوة الشوقية التى تتشوق بها نفس الحيوان ، و يطلبه ويحرك بدنه نحو المطلوب .

فنقول : ان الجسم الحى اما ان يتشوق نحو الانتقام والاقدام على الغير، لانتزاع ما فى يده بالقوة الغضبية ، و اما ان يتشوق نحو الشهوات و اللذات بالقوة الشهوية ، و اما ان يتشوق نحو الفضائل بالقوة العقلية ، ثم ان الشهوة والغضب مقرونان بالحيوان الناقص ، لحاجات بدنه و عدم كفاية شخصه فى بقاء وجوده ، لتطرق الاستحالة والفساد اليه ، دون انضمام ما هو خارج عنه اليه ، فيحتاج الى جذب و دفع بشهوة و انتقام ، والاجرام العلوية غنية عن هذه الاشياء لبعد جوهرها عن الاستحالة والتغير والنقص والفاقة الى ما هو خارج عنها ، حتى يحتاج الى تناول ما يخلف المتحلل من ابدانها ، والانتقام من عدو يضادها و يعارضها .

٧ــ اكرام (ن م ل) ٨ــ الموافق (ن م ل)
٩ــ فيه (ن ل)

فاذا كان الامر كذلك ، فنفوسها يجب ان يكون هى التى يتشوق نحو الفضائل ، والفضائل ايضاً اصولها منحصرة فى الثلاثة : كالشجاعة والعفة والحكمة ، فوجب ان يكون الفضيلة التى يتشوقها النفوس السماوية اعلى هذه الفضائل مرتبة و اجلها درجة ، و هى الحكمة ، اذالاوليين لايتصوران فيها ، اذ لاشهوة لها ولا غضب ، والحكمة هى التشبه بافضل الموجودات ، و هى الغاية فى الشرف والكمال ، لاجل قصد الانسان ايضاً ، الذى هو افضل الحيوانات فى هذا العالم ، عالم الكون والفساد ، فقصدت نفوس تلك الاجرام نحو هذا المعنى ، اما على الحقيقة و اما على التخيل والتمثيل ، والاشخاص العلوية لما كان جواهرها جواهر بعيدة عن الاختلاف والتركيب من الاجسام المتنافرة والكيفيات المتضادة ، فابدانها مشايعة لنفوسها غاية المشايعة فى حركاتها و قرباتها من مبدعها من بين سائر الاجسام ، والقريب من الشىء قادر على التشبه به حسب ما امكن له ، فصارت نفوسها يتقرب بالاول ، و يتشبه به بحسب الكمال يليق بها فى دوام الحركات الدورية ، و يقصد بقوتها المتخيلة حكاية ما يحتمل نيله بحسب تلك القوة ، و بقوتها الحساسة ايضاً ما من شأنها ان يناله .

فيكون السماء بكليتها منخرطة فى سلك عبودية المعشوق الاول، اذليس للسماء والسماوى قوة تخالف طبيعتها طبيعة قوة اخرى ، فكل ما قصدتها نفس السماء قصدتها بكليتها و بجميع قواها ، فالنفس التى هى صورة الفلك تحرك جرم الفلك بالارادة العقلية والشوق التخيلى والقصد الجسمانى ، تشبهاً بالخير الاقصى والمبدأ الاعلى ، و تقربا اليه و عبودية له ، والمحرك الاول والعلة الاولى يحركها ، لابان يتغير ذاته او يتجدد سانح ، بل كما يحرك المعشوق محبه والخير المحض طالبه .

فاما انها كلها ذوات انفس ، فتبين بما ذكرناه و بان ، كلها متفقة فى انها طبيعة خامسة بعيدة عن الاستحالة ، مستغنية عن الشهوة والغضب ، ليكون حركاتها غير عقلية، ودارها دار مصونة عن الخراب والانهدام[١٠] ليفتقر تعميرها الى لحوق الالات والاجرام ، و بيتها معمور بطاعات الملائكة والمسبحين ،

١٠ـ دارها مصونة و الخراب عن الانهدام (ن ل) دارها الخراب مصونة عن الانهدام (ن م)

محفوظ عن شرور الشياطين ،كما قال تعالى : و حفظناها من كل شيطان رجيم[۱۱] .

و اما كم عدد كـراتها و حركاتها و محـركاتها العقلية والنفسية ، فالرجوع فى معرفة ذلك الى علم الهيئة و علم الهندسة ، و يحكم عليها بحسب ما حكمت به الارصاد الصحيحة ، و اما كم ازمنة بقائها و موعد انتقالها عن هذه النشأة الى نشأة الاخرة ، عند انفطار السماء و انشقاقها ، وانطماس نجومها و تساقط كواكبها ، و انكساف انوارها ، فالعلم به عندالله و عند من حشر اليه ،كما قال تعالى مخاطبا لحبيبه : يسألونك عن الساعة ايان مرساها ، قل انما علمها عند ربى ، لايجليها لوقتها الا هو ، ثقلت فى السموات والارض لاتأتيكم الا بغتة ، يسألونك كانك حفى عنها ، قل علمها عندالله ولكن اكثرالناس لايعلمون[۱۲] و قال : يسألك الناس عن‌الساعـة، قل علمها عندالله و ما يدريك لعل الساعة تكون قريباً[۱۳] و قال : يسألونك عن الساعة ايان مرساها ، فيم انت من ذكراها الى ربك منتهيها[۱۴] فمن كان بعد فى‌الدنيا و لم يحشر الى‌الله ، فلا يمكن له العلم بحقيقة الساعة ، نعم من تيقن و تحقق له ان العالم بجميع اجزائه و افراده كالسموات والارضين و ما بينهما لم يكن فى‌زمان ثم كان بعدية زمانية لاذاتية فقط، فهو عالم بان الجميع مما سيعدم و يبطل و يخرب و ينتقل الامر بعد عدمها الى عالم اخر هو عالم الحساب والجزاء ،كما سنشير اليه ان شاء الله .

اللمعة الرابعة

فى ان لكل من‌السموات ارادة‌كلية، مبدءها الامر العقلى وارادة جزئية، مبدءهاالامر الخيالى، واثبات تعددالمحركات العقلية التى هى‌الملائكة‌العلوية، والاشارة الى مايرد على‌الفلاسفة مما تصوروه من‌كيفية هذه التشبه بالخير الاقصى، المشهور من اقوال الحكماء فى‌غاية الحركة فى‌الاجرام العلوية.

ان مقصود الافلاك و ما فيها ليس امراً ثابتا لها ، والافما طلبته لاستحالة

۱۱ـ حجر ۱۷
۱۲ـ اعراف ۱۸۷
۱۳ـ احزاب ۶۳
۱۴ـ نازعات ۴۲ـ ۴۴

طلب الحاصل ، ولا مطلوباً جزئيا دفعى الحصول ، والا فوقفت ان نالت، و قنطت ان لم يكن ممكن الحصول ، والحركة دائمة ، فلها فى حركاتها غاية هى مطلوب كلى ، فلزمتها ارادة كلية توجبها علم كلى دال على جوهر عقلى فيها ، ثم الحركة المنبعثة من ارادة كلية ، لابد و ان يقترن لقاصدها ارادة جزئية تباشر جزئيات تلك الحركة ، اذ وجودها يمتنع دون خصوصيات اجزائها المادية ، فمقصود تلك الارادة الجزئية يجب ان يكون من جزئيات تلك الغاية الكلية ، فمقصود الافلاك اما امر حيوانى من جلب نفع بالشهوة او دفع ضر بالغضب ، و شىء من هذين غير متصور فيما لا امتزاج له من متضادات ، ولا التيام فيه ولا تركيب من متخالفات ، ولا مزاحم لمكانه ولا مخالف لكيفيته ، فمقصودها خارج من اعراض[15] الحيوانات المركبة الابدان من متخالفة الاركان ، كالجذب والدفع والشهوة والانتقام ، و ليس ايضاً لها غرض مظنون كطلب مدح او ثناء اوصيت لدوام حركاتها ، و وجوبها بايجاب محركاتها ، ولاستيجابها لغاياتها ، والمظنون ليس كذلك ، ولا ايضاً لاجل نفع يصل الى السافل او شفقة عليه ، الا على سبيل التبعية رشحاً للخيرات ، لان السافل دون درجة من ان يقصده العالى ، اذ المقصود يجب ان يكون اشرف من القاصد ، ولا يعود الى الاشرف من الاخس شىء كمالى او نفع .

فحركتها لمقصود اشرف من نفوسها من امر عقلى ، اما لينال ذاته او لتشبه بصفة له دفعياً ، فلزم مالزم من ما سبق من الوقفة، او لينال تشبه تجددى به و هوالمتعين ، فالمتشبه به يجب ان يكون جوهرا كاملا عقليا متعدداً حسب تعدد الكرات ، والا لما اختلفت الحركات ، فاختلفت المبادى والمعشوقات ، و تعددت حسب تعدد الاجرام المتحركات و نفوسها العاشقة ، و ان كان للكل معشوق واحد هوالمحرك الاول ، والخير الاقصى الذى يقصده الكل وينحو نحوه ويتشبه به، لاشتراكها فى دورية الحركات واتفاقها فى الطبيعة الخامسة البريئة عن نقائص العنصريات ، فكل من القويات السماوية معشوق مختص يتوسل به الى التشبه بالاول تعالى .

١٥ـ كذافى جميع النسخ والظاهر اغراض

هذه صورة ما ذكروه ، و فيه امور صحيحة ، الا ان ما حكموا به فى كيفية هذا التشبه بانه : قد حصل بمجرد تبدل الاوضاع والاحوال النسبية واستبقائها نوعا بالحركة فى مقولة الوضع ، حتى صرحوا بان هذه الحركة الوضعية لها هى بعينها ، كأنها نفس الكمال الذى وقع به التشبه لها بالكامل الحقيقى ، شىء لايسمن ولايغنى من جوع ، فان مجرد الوضع و هو من الاعراض النسبية التى هى اضعف الاعراض و اخسها مرتبة ، كيف يكون كمالا او يحصل به كمال حتى يتشبه به بكمال الجواهر العقلية ، و انى يكون مثل هذا الامر الذى هو اسهل عرض وايسر غرض سبباً لحصول ابتهاج واهتزاز فى هذا العلويات ، على ان الحركة دائما انما تكون وسيلة لاجل شىء اخر ، ولاتكون هى بما هى حركة امراً منظوراً اليه بالقصد الاول ، و هذا ما يحكم به الفطرة السليمة ، ولاريب لاحد فى ان العاقل لايتردد فى بيته لمجرد اخراج الاوضاع من القوة الى الفعل ، و ايضاً ما من ناقص الا وفوقه مراتب من الكمال ، و بينه و بين الخير الاقصى والمحبوب الاول والمطلوب من كل الوجوه درجات جوهرية لايعد ولا يحصى متفاوتة فى الشدة ، بل درجات غير متناهية بالقوة والشدة لا بالفعل والعدة ، لامتناع تحقق الغير المتناهى محصوراً بين حاصرين ، فاذا كان للفلك جوهر ملكى ادراكى متصور لما فوقه ، فكيف اقصر نظره و حصر مطلوبه فى اكتساب اخس الامور وادونها ، و جعله وجهة قصده و قبلة توجهه و منشأ كماله و مبدأ ابتهاجه و اقباله ، و ليس لاحدان يقول لعل ناقصاً يمتنع عليه تحصيل ما هو اشرف من ذاته من الكمالات الجوهرية ، لانا نقول لوامتنع ذلك لما كان مرتكزاً فى جبلته و جبلة كل موجود شوق الى ما هو اعلى و اشرف منه ، و قد بين فى الحكمة ان للطبايع غايات ، و ان ما هو مجبول عليه كل شىء لايكون عبثاً و باطلا ، كما قال تعالى : افحسبتم انما خلقناكم عبثاً و انكم الينا لاترجعون[١٦] .

فعلم ان مقصود الجواهر الفلكية فى حركاتها بحسب الارادة الكلية امر عقلى ، و بحسب ارادة الجزئية المتجددة صور متجددة جوهرية ، فالفلك يتصور كل ان بصورة اخرى ، و يتشوق كل لحظة بشوق اخر ، فيتوارد

١٦ــ مؤمنون ١١٥

عليه الاشواق النفسانية شوقا بعد شوق ، و يتجدد عليه الصور الطبيعية صورة بعدصورة، فلها ارادة عقلية ثابتة لصورة عقلية ثابتة، ولهااشواق جزئيةمتجددة على نعت الاتصال لصورخيالية متجددة ،كذلك يتبعها صور طبيعية متجددة مستحيلةعلى نعت الاتصال والاستمرار، وبهذاالاتصال يمتاز عن الصور العنصرية، فالفلكيات حالها كحال العنصريات فى قبولها الكون والفساد و الحدوث الزمانى ، الا ان هذه الاحوال فى السماويات متشابهة متصلة على سنة واحدة، و فى الارضيات لغاية بعدها عن عالم الوحدة الالهية ، متخالفة متفاصلة على انحاء متبددة[١٧] و هذه المسألة من غوامض العلوم ، وقد غفل عنها جمهور الحكماء ، و بها يعرف حدوث جملة العالم حدوثاً زمانيا كما سيجىء* .

استشهاد

ان من الشواهد على هذا المطلب : ان معلم الفلاسفة قد صرح فى تعليمه اياهم : ان ما هو ولم هو فى المفارقات المحضة امر واحد ، و فيما دونها متعدد ، و يستفاد من كلامه ان طبيعة الفلك والكواكب وكذا نفوسها يجب ان يكون ما هو فيها مغايراً عن لم هو ، ولم هو يجب ان يكون اشرف من ما هو فيها ، لان لم هو غاية الشىء ، و ما هو حقيقته ، و غاية الشىء اشرف من حقيقته، وحقيقة الفلك امر جوهرى، فغايته ايضا يجب ان يكون جوهراً افضل من جوهر اصل الفلك ، و يمتنع ان يكون عرضا من الاعراض، والا لكان شىء من الاعراض اشرف من الجوهر، و بطلانه ضرورى ثابت .

ثم ان التشبه الذى قالوا انه غاية الفلك فى هذا الشوق الطلبى المتجدد، ليس المراد منه هذا المعنى المصدرى الاضافى ، اذ لا وجود له فى الاعيان ، لانه اعتبار محض يعتبره الذهن ، بل المراد منه امر يصير به جوهر الفلك شبيهاً بالجوهر العقلى بحسب ما يمكن فى حقه ، فوجب ان لايكون من الامور النسبية ، لان التشبه بالمعنى الاول ، اى المتشبهية يليق بان يكون غاية للامور النسبية ، والتشبه بهذا المعنى ، اى ما يصير به الفلك شبيها بالجوهر

١٧ـ اى متفرقة

* بل كما مر فى المفتاح الثانى عشر ، فراجع .

العقلى الكامل من كل وجه يليق به ، و فى[۱۸] ان يكون غاية للامر الصورى الجوهرى ، فلابد ان يكون مطلوب جرم الفلك امراً جوهرياً حسياً ، و مطلوب نفس الفلك بحسب قوة خيالية صور خيالية ، و مطلوبها بحسب قوتها العقلية جوهراً عقليا كاملا بالفعل من كل وجه ، لكونه احد مجاورى الحضرة الالهية .

فاذا تقرر هذا المقام ، انكشف لذوى ثواقب الافهام ، ان للفلك فى كل شوق و حركة كمالا اخر صوريا ، وله بحسب كل كمال جوهرى صورى انبعاث شوق و حركة اخرى ، فيكون له فى كل ان من الانات وصول الى المفارق المحض و رجوع الى العالم الاعلى ، و كذلك يفيض من ذلك العالم فى كل ان على مادته صورة جوهرية اخرى ، فهكذا يتتالى الاشراقات من قبل الله والافاضات ، و يتوالى الاتصالات و يتصاعد الكلمات الطيبات على الاتصال ، الى ان يرث الله الارض و من عليها ، والسماء و من فيها ، ففى كل ان للفلك بعث و خلق جديد ، وله فى جميع الدهر حدوث واحد من الله وحشر واحد اليه وحدة جمعية ، و هكذا حكم الارض والجبال و غيرها ، كما قال سبحانه : ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة[۱۹] و قال : و اليه يرجع الامر كله[۲۰] .

فقد ثبت و تحقق بهذا البرهان عند ذوى البصاير حدوث جميع العالم و جميع ما فى السموات و ما فى الارض و زوالها ، لانها تدريجية الوجود متبدلة الكون فى كل ان ، و انها فى كل لحظة لفى خلق جديد، كما فى قوله تعالى : و ترى الجبال تحسبها جامدة و هى تمر مر السحاب[۲۱] فاعلم ذلك ، ان فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين[۲۲] .

اللمعة الخامسة

فى ان ذات الفلك جوهر واحد ذو درجات متفاوتة

اعلم ان للفلك عقلا يدرك الكليات ، و نفساً يتخيل الجزئيات ، وطبيعة

۱۸ـ وان (ن ل)
۱۹ـ لقمان ۲۸
۲۰ـ هود ۱۲۳
۲۱ـ نمل ۸۸
۲۲ـ انبياء ۱۰۶

سارية فی جرمه یحرك المادة حركة وضعية ، لابان تكون لها ذوات متعددة متباينة الوجود، لان الفلك شخص بسيط ليس فيه تركيب من قوى وطبايع ، و استحال ايضاً ان يكون ذات الشیء فوق واحدة ، ولا بان يكون صورة ذاته احدى هذه الامور و غيرها من العوارض او الالات الخارجة عنها كما زعمته طايفة ، بل ذات الفلك هوية بسيطة جامعة لحدود هذه المراتب العقلية والنفسية والطبيعية ، فقولهم : حركة الفلك ليست طبيعته ، معناه ان قاصد هذه الحركة و داعيها ليست طبيعية محضة ناقصة غير شاعرة بغاية فعلها ، والا فمباشر الحركة ليس الا مميل الجسم بقوته ، و منحيه نحوالجهة المطلوبة ، و نحن نجد فی حركاتنا الاختيارية ان بعد الشعور والارادة والشوق التخيلى قوة قائمة بالاعضاء مميلة اياها نحوالجهة ، فكذا فی الفلك، فعقل الفلك من جهة عقليته لا يباشر التحريك الجسمانی ، لتساوى نسبة الارادة الكلية الى جزئيات حدود الحركة ، وكذا حكم نفسه من حيث جوهرها العقلى ، و اما من حيث نشأتها الحيوانية فلها وجه الى القدس ، فيها عين جارية[٢٣] ينبع منها ماء الحيوان ، و وجه الى الطبيعة الفلكية على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق و كأس من معين[٢٤] .

وقد ثبت منا البرهان على ان الوجود الواحد قد يكون مع احديته جامعا لحدود متفاوتة المراتب ، مرتبة العقل و مرتبة النفس و مرتبةالطبيعة، ولكل من هذه المراتب مراتب كثيرة، لها اثارولوازم يعرف تعددها بتعدد تلك الاثار واللوازم ، و هذا امر شديد الغموض دقيق المسلك غوره ، لم اعـرف احد اعلى وجه الارض عنده علم صحيح به .

٢٣ــ غاشيه ١٢ ٢٤ــ واقعه ١٥ ــ ١٨

المفتاح السابع عشر

فى علم المعاد و تحقيق حشر النفوس، و كيفية رجوعها الى الله تعالى،

و فيه اشراقات :

الاشراق الاول

فى تذكر القول فى ترتيب مايحدث فى الانسان، حتى يعود من انقص المراتب الى اعلاها بعد مانزل منه، فيكون كالدائرة، فانها يبتدىء من اول و ينتهى اخرها الى اولها

ان اول ما يحدث من فيض العالم الاعلى فى الانسان بعد القوة الهيولانية هى القوة التى يتحفظ بها صورة جسميته و تركيب بنيته، ثم القوة التى يتغذى بها و ينمو، ثم التى بها يدرك الملموس من اوائل الكيفيات، كالحرارة والبرودة و اشباههما، ثم التى بها يحس الطعوم، ثم التى يشعر بالروائح، و بعد اللامسة و الذائقة والشامة فاضت عليه قوة السمع والبصر، وهما اشرف الحواس، اذ يدرك بهما اموراً بعيدة المسافة عن الة الادراك، يحدث معها القوة النزوعية الى ما يحسه، فيشتاقه او يكرهه، ثم يحدث بعد ذلك قوة اخرى تدرك المحسوسات الغائبة، و يجتمع عندها امثلة الاشياء مفارقة عن موادها، و يحفظ بها ما ارتسمت عن مشاهدة الحواس بعد غيبته عنها، ثم قوة اخرى متصرفة فيها بالتفصيل والتركيب، ولها قوة الوهم والذكر والاسترجاع، و يقال لها المتخيلة، و بها يستوفى درجات الحيوانية، و اعلى مراتبها ما يصدر عنه الفكر والروية، فهذه

هی القوی النفسانية .

فالغاذية شبه المادة للقوة الحساسة ، و هی شبه المادة للقوة المتخيلة، وهی کالهيولی للقوة الناطقة .

و اما النزوعية فانها فی الوجود تابعة للحاسة الرئيسة ، والمتخيلة والناطقة علی حسب مراتبها ، فان لکل وجود طلب لذاته لما يوافقه ، وهرب عما يخالفه ، الا ان هذا الطلب يسمی فی الحساس والمتخيل والناطق المروی شوقا و ارادة ، و فی ما تحتها ميلا طبيعياً ، و فيما فوقها عناية .

فبالناطقة تم کمال العالم الحسی والمثالی ، فيجتمع عند الحاسة الرئيسة للخمس صور المحسوسات عند حضورها ، و عند المتخيلة مثل المحسوسات حال غيبتها، بل حال غيبة النفس عن هذا الحال من هذه الحيثية، و يبقی بعد ذلك ان يرتسم فی القوة الناطقة التی هی کالهيولی العقلية صور المعقولات ، و هی عقول بالفعل و معقولات بالفعل ، لانها الاشياء البريئة من المادة و علائقها من کل الوجوه ، و اما المعقولات التی هی ليست بجواهرها معقولة بالفعل ، فليس وجودها وجوداً عقلياً بل حسياً او مثالياً ، ان لها ارتباطا بالموجودات العقلية والمعانی الصورية کالحجارة والنبات و ما يحمله مادة او جسم ، فان هذه ليست عقولا بالفعل ولا معقولات بالفعل ، بل هی اثار المعقولات و ظلالها و اشباحها .

و اول ما يحدث من العقل الانسانی بالطبع فهو کهيئة فی مادة نفسانية، هی فی ذاتها صورة لما دونها ، ولا يمکن ان يکون مادة لما دونها ولاصورة لما فوقها ،کما ان الهيولی لايمکن ان يکون صورة لامر، لانها اخس الموجودات ، فالناطقة صورة بنحو و مادة بنحو اخر ، و انما تصير صورة عقلية لکثرة ملاحظتها و مصادفتها للمعقولات ، و انفعالها عن العالم العقلی، وکل ما خرجت الناطقة من القوة الی الفعل ، خرجت مخزوناتها من القوة الی الفعل ، و هکذا الی ان تصير قوة ذاتها فعلا محضاً و خيالها عقلا محضا ، فهی لايزال مفتقرة الی شیء يخرجها من القوة الی الفعل ، و ينقلها من نشأة و يقلبها کيف يشاء ، و هو ملك روحانی من ملائکة الله ، و نور عقلی من انواره يسوق عباده الی رضوانه .

الاشراق الثانى

فى الاشارة الى العقل الفعال فى انفسنا

ان هذا العقل وجوداً فى نفسه لنفسه، و وجوداً فى انفسنا لانفسنا، فان كمال النفس الانسانية و تمامها، وجود العقل الفعال لها و صيرورتها اياه و اتحادها به، فان الغاية للشىء ما يصح وجودها له، و ما لا وصول لشىء اليه لا يكون غاية و علة تمامية لذلك الشىء، و من اشكل عليه هذا الامر واستصعبه بان شيئاً واحدا كيف يكون فاعلا متقدماً و غاية متأخرة لشىء واحد، فذلك لاجل انه لم يتصور من الوحدة الا الوحدة العددية التى توجد فى الموضوعات الجسمانية، التى يحصل بتكررها كثرة عددية من نوع واحد، فالنظر فى العقل الفعال من حيث وجوده من مسائل العلم الالهى، والنظر فى وجوده للنفس من مسائل العلم الطبيعى الذى يبحث فيها عن احوال الجسم الطبيعى، و ليس النظر هاهنا فيه الا من حيث كونه كمالا للنفس و تماما لها، كما ان النفس كمال و تمام للجسم الطبيعى، و من حيث تأثر النفس و انفعالها عنه اولا ثم صيرورتها اياه ثانيا.

اما البرهان على وجوده: فلما اشرنا اليه من ان النفس الانسانية فى اول تكونها امر بالقوة من جهة العاقلية والمعقولية، اى نحو وجودها المفارقى، و ان كانت موجودة بالفعل من حيث وجودها الكونى الحسى، لكونها كمالا للجسم المحسوس الحاس، ثم يصير امراً عقليا بالفعل فى تصوير الحقائق و افادة العلوم و تدوين المسائل، و كلما يخرج من حد القوة الى حد الفعل فبامر ما يخرج اليه، و هذا الذى يخرجها من القوة الى الفعل لو لم يكن جوهراً كاملا عقلياً بل جسما او نفسا، اى عقلا بالقوة، ففى الاول يلزم كون الجسم مفيداً للعقل، والخسيس مكملا للشريف و هو محال، و فى الثانى لزم احتياجه الى جوهر اخر هو عقل بالفعل، اذ العقل بالقوة ما لم يصر عقلا بالفعل لا يخرج النفس من القوة الى الفعل، والناقص مادام نقصه، لا يجعل الناقص الاخر كاملا، والكلام يعود فى مخرجه الى مخرج اخر فيتسلسل او يدور او ينتهى الى مخرج عقلى للنفس هو عقل كامل بالفعل، و كل من الاولين باطل.

فتعين وجود نور علوى و جوهر قدسى الهى يتنور به النفوس ، و تصير بالاتصال به و الصيرورة اياه عقلا كاملا بالفعل يعقل و ينال كل شىء و يصل الى كل شىء ، و قياس ذلك النور العقلى فى انفسنا كقياس النور الحسى فى ابصارنا ، اذا اتصل بالبصر خرجه من حد كونه مبصراً بالقوة الى حد كونه مبصراً بالفعل ، فيتحد به ، وستعلم كيفية هذا الاتحاد بالبيان البرهانى، و تعلم ايضاً ان العقل بالفعل كل الموجودات ، لان من شأنه ان يعقل كل شىء ، و كل ما وجود ليس فى مادة فهو من شأنه ان يعقل كل شىء ، فكل ما هو من شأنه و يمكن له وجود بالامكان العامى فيجب ان يكون حاصلا له، والا لكان فيه شىء ما بالقوة ، فيحتاج الى مادة له و حركة و استعداد ، و كلا منا فى المفارق المحض ، هذا محال ، و بهذا يكون الفرق بين النور العقلى اذا وجد بالفعل يصير كل الموجودات التى من شأنها ان ينالها ، وبين النور الحسى اذا وجد بالفعل فى البصر، فان باتصاله وحده ، لايظهر فى البصر صورة المحسوسات ما لم ينضم الى ذلك معنى اخر، ولذلك ليس النور المحسوس كل المستنيرات الحسية بخلاف النور المعقول بالفعل ، فثبت و تحقق ان فى الوجود جوهراً فعالا يقوم الجواهر العقلية ، ويكمل بذاته النفوس الانسانية .

الاشراق الثالث

فى كيفية اتحاد العاقل والمعقول

لما علمت ان كل صورة معقولة له بالفعل ، هى ما وجودها وجود صورة فارقت المواد والجسمية والاوضاع الحسية كلها ، فهى بذاته عاقل بالفعل كما انها معقولة ، و كل صورة مادية فهى عاقلة و معقولة بالقوة لا بالفعل، والنفس مادامت كونها متعلقة الوجود بالمادة فليست عاقلة ولا معقولة بالفعل بل بالقوة ، و ليس كما هو المشهور ان النفس تجرد الصور المحسوسة و ينتزعها عن موادها فيصيرها معقولة بالفعل ، والنفس هى ماهى بحالها، حتى يكون هى ثابتة والاشياء مستحيلة متغيرة ، بل الامر بالعكس من ذلك، فان الاشياء المادية المحفوفة بعوارضها و غواشيها نحو وجودها نحو وجود

امر محسوس ، والمحسوس يستحيل ان يكون متخيلا ثم معقولا و هو هو بعينه ، فظهور كل حقيقة بصورة وحدانية مجردة على القوة العاقلة و بصور متخالفة مادية على الحواس ، ليس بان يدل على كون حركتها واستحالتها تابعة لحركة النفس و استحالتها ، اولى من ان يدل على عكس ما ذكرنا على ما هوالمشهور عند جمهور الحكماء ، حيث صرحوا القول بان القوة العقلية للنفس تجرد الصورة عن المادة ، و تعمل بها عملا يصير المحسوس متخيلا ، ثم يجرد الصورة المتخيلة عن سائر لواحقها و يعمل بها عملا تصيرها معقولة ، فكان النفس خلاق للمعقولات ، و هى هى بجوهرها و حالها، و ذلك من اسخف القول عند اولياء العلم ، و ما اشد سخافة قول من زعم ان جميع النفوس لها درجة واحدة فى الجوهرية و نحو الوجود ، حتى ان النفوس الانبياء و الاولياء عليهم السلام و نفوس سائر الخلائق يكون متساوية عندهم فى الحقيقة والذات ، وانما التفاوت بعوارض خارجة ، و كيف يرضى العاقل بهذا الاعتقاد القبيح .

بل الحق والصواب : ان للنفس الانسانية شؤوناً ذاتية و تحولات جوهرية ، فان العوالم و النشات لما كانت متعددة متخالفة ، و لكل نشأة و عالم صورة خاصة ، و كان فى‌الوجود وحدة الهية ثم عقلية ، و كثرة جسمانية برزخية و اخرى مادية كثيفة ، و كل ناقص كما ذكر مراراً مركوز فى جبلته طلب الكمال والخير ، والخلاص من النقص والشر ، قضت العناية الربانية بايجاد نشأة جامعة يتقلب فى الاحوال ، و يسافر من الدنيا الى البرزخ ومنه الى الاخرى ، فرتب له قوة لطيفة تناسب بذاتها تلك الوحدة العقلية ، فيتمكن بتلك المناسبة من ادراكها و نيلها من حيث هى ، والقوة هى العقل بالقوة، و تلك الوحدة هى العقل الفعال ، و رتب له قوى جسمانية مادية يناسب بذواتها تلك الكثرة الجسمانية او المادية فيدركها من حيث هى ، و تلك الكثرة هى الاجسام والمواد ، ثم ان النفس فى مبادى تكونها و ظهورها غلبت شقوتها وجهة الكثرة الجسمانية ، لانها حدثت من مواد هذا العالم ، فيكون وحدتها العقلية بالقوة ، و كثرتها الجسمانية بالفعل ، فاذا قويت ذاتها و بلغت فعليتها ، غلبت عليها جهة الوحدة ، فصارت عقلا و معقولا بعد ما

كانت حساً و محسوساً ، فللنفس الانسانية حركة فى ذاتها من هذه النشأة الى نشأة اخرى ، و لقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون[١] .

الاشراق الرابع

فى تأكيد القول باتحاد العاقل بالمعقول

لما بين ان كل صورة فى مادة محفوفة بعوارضها ، مكتنف بها لواحقها، ليست معقولة ولا محسوسة ، بل محسوسة[٢] ، اى من شأنها ان ينالها الحس و من شأن الحس ان ينالها بضرب من التجريد ، و هى معقولة ايضاً بالقوة، بمعنى ان من شأنها ان ينالها النفس ، و من شأن النفس ان ينالها ، و كل صورة مفارقة عن المواد و عوارضها و لواحقها فهى معقولة بالفعل و عاقلة بالفعل ، فكما ان المحسوس ينقسم الى ما هو محسوس بالقوة و الى ما هو محسوس بالفعل ، والمحسوس بالفعل متحد الوجود بالجوهر الحاس ، اذ الاحساس ليس كما زعمه الناس من انه يحصل بانتقال المنطبعات بهوياتها الى جوهر الحس ، ولا ايضاً بحركة شىء من القوة الحسية الى جانب المحسوس كما زعمته طايفة فى باب الابصار ، بل بان يفيض عن الواهب بواسطة الاضواء الكوكبية صورة نورية يحصل بها الادراك ، فهى الحاسة بالفعل والمحسوسة بالفعل، واما قبل فيضانها فلاحس ولامحسوس الا بالقوة، و اما وجود صورة و ضعية فى مادة حاضرة مع شرائط و نسب مخصوصة فهو من المعدات فى هذا العالم ، فليس الذى يبصر من عيوننا هو نفس الالة كالجليدية ، لانها أمر ظلمانى فى ذاته ، و المظلم فى ذاته كيف يدرك النور، اذالمدرك يماثل المدرك حقيقة ، و يتفاوت عنه كمالا و نقصاً ، فكذلك القوة العاقلة اذا صارت عاقلة ، ليس الامر فيها بان ينتقل اليها صورة من الاشياء المادية ، و لا بان العاقلة ينتقل اليها فيصادفها و يدركها و يصيربها عقلا بالفعل ، ولا ايضاً بان يحدث فيها صورة عقلية والنفس هى ماهى بحالها، و مع ذلك يكون مدركة اياها بذاتها المظلمة الجاهلة ، و لما خرج عن

١ـ واقعه ٦٢

٢ـ ليست معقولة بل محسوسة (النسخةالمخطوطة الاخرى) .

التصور بتلك الصور كما هو المشهور ، و طابقه اعتقادات الجمهور مـن الفلاسفة حتى رئيسهم ، فانه قد شنع على فرفوريوس القائل باتحاد العاقل والمعقول فى كتبه كالشفاء والاشارات تشنيعا بليغا ، الا انه رجع بعد ذلك عن هذا الانكار البليغ ، و جوزه لما رأى من قوة هذا الرأى .

و ليت شعرى ان النفس بقوتها العاقلة التى هى فى ذاتها خالية عن صورالمعقولات كلها ، كيف تنال و تدرك المعقولات ؟ و باى شىء ينالها و يدركها ؟ أ بذاتها العارية الجاهلة المظلمة ، الاشياء الخارجة ، و يدرك الانوار العقلية ؟ و من لم يكن بذاته مدركاً لشىء و لم يحصل لذاته بذاته شىء ، فكيف يدرك شيئا اخر ؟ و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور[3] اوينال الاشياء المعقولات بتلك الصور الحاصلة فيه ؟

فنقول : ما لم يدرك اولا تلك الصور الحاصلة فيه ، فكيف يدرك بها ما خرج عن التصور ؟ والافان جاز ذلك ، فاما بان يكون تلك الصور عاقلة لذاتها و لغيرها و معقولة لذاتها، اوبان يكون هى معقولة و عاقلة لما ورائها، و كلاهما محال ، لان هذه الصور اذا كانت زايدة على الجوهر النفسى الذى هو عقل بالقوة قائمة به ، فلايكون عاقلة لذاتها ولا لغيرها اصلا ، لان العقل حصول صورة مجردة لشىء ، و حصول شىء لشىء متفرغ على حصول ذلك الشىء لنفسه ، و ما حصوله لغيره لايكون حاصلا لنفسه ، فلايكون عاقلا لذاته ، ثم الكلام عايد ايضا فى الشق الاخير ، من كون الصور العقلية معقولة للنفس و عاقلة لما ورائها ، و هو ان النفس كيف يكون عاقلة اياها ، أ بذاتها العارية التى هى كانت قوة محضة ؟ و قد علمت بطلانه ، اوبصورة اخرى فيتضاعف الصور ؟ و يعود الكلام هكذا الى غيرالنهاية و هو محال ، فبقى ان النفس ما لم يصر صورة عقلية لشىء لا يدرك ذلك الشىء

فثبت ان كل عاقل عين جميع معقولاته ، فكل عقل يكون معقولاته اكثر ، فهو اشد عقلية و اكمل ذاتا واقوى وجوداً و اكثر اثاراً ، و بهذا يتفاوت درجات العقول المفارقة التى بعضها فوق بعض ، الى ان ينتهى الى واجب القيوم المحيط بالكل جل ذكره .

٣ـ نور ٤٠

فان قال قائل : ان العقل المنفعل اذا حصلت له الصورة العقلية لم يجز لاحد ان يقول انه فى ذاته معرى عنها ، لانه متصور بها ، منور بنورها .

اقول : ان كان حصولها للعقل المنفعل حصول صورة لمادة يتحد بها صائرة بها نوعاً اخر ، فهذا هو الحق الذى نرومه ، فكما ليست المادة الاولى شيئا من الاشياء المحصلة المعينة بالفعل الا بالصورة ، و ليس وجود الصورة لها لحوق موجود بموجود اخر منضما اليه ، بل بان يتحول المادة فى نفسها من النقص الى الكمال ، و من العدم والقوة الى الوجود و الفعلية ، اذ لا وجود للمادة فى ذاتها الا بالصورة ، ولا للمادى بما هو مادى الا بها ، فكما ان مادة الخشب بالقوة وصورته خشب بالفعل، ومادة النارنار بالقوة وصورة النارية نار بالفعل ، فمادة العقل عقل بالقوة ، و صورته العقلية عقل بالفعل، وان كان حصولها للعقل المنفعل حصول امر مباين لامر مباين ، و حصول المباين للمباين ليس حصولا بالحقيقة ، نعم يحصل عند ذلك نسبة و اضافة لاحدهما الى الاخر ، و النسبة من اضعف الاشياء وجوداً ، بل وجودها عبارة عن كون الموصوف بها بحيث اذا ادرك ادرك معه ما يناسبه ، فهذا حظها من الوجود والكون ، و هو ليس وجوداً بالحقيقة بل بالمجاز ، فكون السماء فوقنا لايقتضى ان يكون وجودها حاصلا لنا، بل اضافتها الينا بالفوقية، والكلام فى حصول الصور العقلية لنا ، لا اضافتها الينا ، على ان الاضافة ايضاً اذا تجددت لشىء بعد مالم يكن ، فلابد من حدوث امر فيه يكون به الاضافة ، و ذلك الامر الحادث اما عين ذاته او امر منضاف اليه ، و الاول صحيح والثانى غير صحيح ، لان اضافة ذلك المنضاف الى ذلك الشىء بعد ما لم يكن يحتاج الى تجدد انضياف امر فيه ، والكلام فى انضياف ذلك الامر المتجدد عائد ايضا، فاما ان يتسلسل او يدور، و هما محالان، او ينتهى الى وجود امر متجدد[٤] بان يتحول ذاته بذاته من حالة الى حالة اخرى يلزمها تلك الاضافة .

و بالجملة كما ان حصول صورة حسية كالسماء او الارض او غيرهما من الصور الطبيعية والصناعية لشىء اخر فى هذا العالم حصولا جسمانيا وضعيا ، يستدعى ان يكون لذلك الشىء وجود من هذا الباب ، اى الوجود

٤ـ متحد به (ن م ل)

الوضعى الجسمانى ، فكذلك وجودالصور المعقولة لشىء اخر وجوداً علقياً معنويا يستدعى ان يكون لذلك الامر وجود عقلى بالفعل ، فالعقل بالقوة ما لم يحصل عقلا بالفعل لم يمكن له تعقل شىء من الاشياء ، فعلم من هذا ان كل ادراك فهو باتحاد بين المدرك و المدرك ، والعقل الذى يدرك الاشياء فهو كل الاشياء . هذا ما اردناه .

تذكرة

كل من راجع وجدانه وانصف من نفسه ، يحكم بان ذاته العالمة بالاشياء ليست هى بعينها الذات التى كانت جاهلة ، بل الجاهل بما هو جاهل لاذات لها ، و ليس وجود الصور العلمية للعالم كحصول المال والزوجة و الاولاد والدار والبستان ، انما هذهِ متاع الحيوة الدنيا ، و ما هذه الحيوة الدنيا الا لهو و لعب ، و ان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون[٥] و قد حققنا ان وجود الماديات و ذوات الاوضاع بعضها لبعض مرجعها الى وجود النسب، والنسبة لاحظ لها من الوجود الا ضرباً من الاعتبار العقلى من جهة الامر الخارجى ، و قد اسلفنا ايضاً القول بان لاحضور لجسم عند جسم اخر بالذات، و كذا لا وجود لجزء جسم عند جزئه الاخر ، فالكل فايت للكل منعدم عنه، فالجسم جوهر ميت ظلمانى ، و كذا ما تعلق بالجسم فهو بقدر تعلقه به يكون غائباً عن نفسه ، مايتاً مفقوداً عنها ، والنفس بقدر خروجها من القوة الجرمية الى الفعل و تجردها عنه يصير حياً مدركاً لذاته و لغيره ، و اذا صارت صورة عقلية قائمة بذاته و بالحى القيوم ، يصير حياته حيوة كل حى ، و بيده ملكوت كل شىء[٦] .

تذكرة اخرى

كل مايراه الانسان فى هذا العالم فضلا عن حالة ارتحاله الى الدار الاخرة ، فانما يراه فى ذاته و فى صقع ملكوته ، ولا يرى شيئا خارجاً عن ذاته و عن عالمه ، و عالمه ايضاً فى ذاته .

٥ــ عنكبوت ٦٤ ٦ــ يس ٨٣

تفريع مشرقى

النفس الانسانية من شأنها ان تبلغ الى درجة يكون جميع الموجودات اجزاء ذاتها، و يكون قوتها سارية فى الجميع، و يكون وجودها غاية الكون والخليقة.

الاشراق الخامس

فى بيان الخير و السعادة الحقيقية للنفوس الانسانية

لانزاع لاحد فى ان لذة كل قوة نفسانية و خيرها بادراك ما يلائمها، و المها و شرها بادراك ما يضادها، فلذة كل حس بادراك المحسوس الذى يخصه و لذة الغضب بالانتقام، و لذة الوهم بالرجاء، و لذة الحفظ التذكر، و الم كل منها بادراك ما يضاد ذلك، ثم هذا القوى فى هذه المعانى فمراتبها متفاوتة، فما وجوده اقوى و كماله اعلى و مطلوبه ادوم و الزم فلذته اشد، فليس كل لذة كما للحمار فى بطنه و فرجه، حتى يكون العباد المكرمون والملائكة المقربون عدمت عنهم اللذة والسعادة مطلقا، بل الوجود لذيذ و كمال الوجود الذ، و كل قوة اذا نالت اللذة بنيل ما يلائمه فانما نالتها، لكون ذلك الملائم يصير سبباً لكمالية فى وجودها، فاللذة لايكون لشىء الا بامر يرجع الى وجوده او بكمالية وجوده، فما وجوده اقوى يكون لذته و بهجته بذاته اقوى.

ثم ان الكمال والامر الملائم ربما حضر للقوة الدراكة، و هناك اما مانع شاغل لها عنه فيكرهه ويؤثر ضده، ككراهة بعض المرضى الطعوم الحلو وايثار ضدها، اما ممنوة[٧] بضدما هو كمالها، فلايحس به مادامت كذلك.

فاذا تقرر هذا فنقول: النفس الناطقة كمالها الخاص بها ان يتحد بالعقل الكلى، و يتقرر فيها صورة الكل و هيئة النظام الاتم والخير الفايض من مبدأ الكل البارى جل ذكره فى العقول والنفوس والطبايع والاجرام الفكية والعنصرية الى اخر الوجود، و يتصور كيفية تدبير البارى للاشياء، الاخذة منه الى ادناها، ثم العائدة اليه العارجة من ادناها الى اقصاها، كما

٧ــ اى اختبره و ابتلاه

قال : يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه[۸] فيصير بجوهرها عالما عقليا فيه هيئة الكل و ينقلب الى اهله مسروراً[۹] فهذه هى السعادة الحقيقية والكمال الاتم دون لذة سائر القوى ، لانه اذا قيس هذا الكمال المعشوقة لسائر القوى ، كانت نسبته اليها فى العظمة والشدة والدوام واللزوم كنسبة العقل الى القوى الحسية البهيمية والغضبية ، لكنا فى عالمنا و نحن مدينون[۱۰] لانغمار نفوسنا فى مشاغل البدن و موارد الحواس، لا نحن اليها كل الحنون، ولكن من خلع من نفسه ربقة الشهوة ، و عن عنقه قلادة الهوى، و عن بصره غشاوة التقليد و رفض وساوس الشيطان ، فيطالع شيئا من الملكوت ، فيجد من تلك اللذة عند انحلال الشبهات واستيضاح المطلوبات شيئاً ضعيفاً يفوق لذته على كل لذة من لذات هذا العالم ، من منكح هنيىء و مطعم شهى و مسكن بهى ، و انت لو كنت عالى النفس متأملا فى عويص من المسائل ، فحضرت بين يديك اطعمة لذيذة ، لم تتركها غير منقحة دون استفراغ جهدك ، واستخففت بالشهوة العاجلة ، فما ظنك اذا انحط عنك شواغل البدن و اوزاره ، و رفع الحجاب بينك و بين هويتك العقلية ، فرقيت بذهنك الى عالم الملكوت و دوام الاتصال ، لان النفس كما مرباقية ، و العقل الفعال باق ابدا ، والفيض من جهته مبذول دائما .

فظهر انه لايقاس هذه السعادة بما يناله الحواس من اللذات المكدرة بالنقائص والافات ، و لهذا ورد فى الحديث عن النبى صلى‌الله عليه واله : لاعيش الا عيش الاخرة ، و سبب خلو النفس عن ادراك لذة العلوم والمعارف مادامت متعلقة بالدنيا ، هو مثل التحذير الحاصلة لقوة الذوق حين عدم نيله لذة الطعوم بواسطة مرض بوليموس[۱۱] فلو فرض كون المعارف التى هى

۸ـ سجده ۵ ۹ـ انشقاق ۹

۱۰ـ بدنيون

۱۱ـ بوليموس هوالمعروف بالجوع البقرى، وهو فى‌الاكثر يتقدمه جوع كلبى و يبطل الشهوة بعده، بل يبطل الشهوة اصلا ابتداء، و هو جوع الاعضاء مع‌شبع المعده فيكون الاعضاء جائية جداً، مفتقرة الى الغذاء، والمعدة عايفة له، وربما تعدى فيه الامر الى الغشى، ويكون العروق خالية لكن المعدة عايفة للغذاء كارهة له، وقد يعرض كثيراً للمسافرين فى البرد المصرورين ، الذين تكثفت معدتهم بالبرد الشديد .

مقتضى طبايع القوة العاقلة، من العلم بالله و ملائكته و كتبه و رسله حاضرة عندها موجودة فى حقها، لكانت لها لذة لايدرك الوصف كنهها، فان السعادة الحقيقية فى وجود هذه الحقائق لا فى انحفاظها و اختزانها، و انما الحاصل للنفس عند اختزانها نحو ضعيف من وجودها، والا فانها اقوياء الوجود و اشداء النورية، والمعرفة فى هذا العالم بذر المشاهدة فى الاخرة، واللذة الكاملة يتوقف على المشاهدة، لان الوجود كما عرفت لذيذ و كماله الذ، والوجودات متفاوتة و افضلها الحق الاول، و ادونها الهيولى والحركة والزمان و ما يشبهها، فالسعادت متفاضلة، فهذه اللذات الحقيقة لنفس كملت بالعلم الحقيقى، فان كانت منفكة عن العلوم، لكنها منزهة عن الرذائل، مصروفة الهم الى المتخيلات التى تلفقتها بالتقليد، فلا يبعد ان يتخيل الصور الملذة، فينجر تخيلها اياها الى مشاهدتها بعد رفع الوهم، كما فى النوم الذى هو ضرب من الموت، فيتمثل له ما وصف فى الجنة من المحسوسات، فهذه جنة المتوسطين و الصالحين على ما سيجىء اثباته، وتلك جنة المقربين الكاملين.

الاشراق السادس

فى الشقاوة التى بازاء تلك السعادة

اما الشقاوة الحقيقية فهى اما بحسب نقصان الغريزة عن ادراك المراتب العالية، او بحسب غلبة الهيئات الظلمانية الحاصلة من المعاصى الحسية، كالفسوق والمظالم، و اما بحسب الجحود و العناد للحق بالاراء الباطلة والانكار للحكمة بالعقائد السفسطية او المشاغبية، و ترجيح بعض المذاهب بالجدل والتقليد طلباً للشهرة والرياسة، و افتخاراً بما يستحسنه الجمهور، و تشوقا الى الكمال الوهمى بحفظ المنقول مع حرمان الوصول، و بالجملة ايثار العاجل الخسيس على الاجل الشريف و للحاضر الباطل على الغائب الحق.

والشقاوة فى القسم الاول من قبيل الاعدام، كالموت للبدن و الزمانة فى الاعضاء من غير شعور بمؤلم.

و اما فی القسم الثانی فبادراك مؤلم مؤذ كالعضو الذی به وجع شدید، فالید المفلوجة اسوء حالا من یدالملسوعة، والملسوعة اشد الماً من المفلوجة، و ذلك لان الهیئات الانقهاریة للنفس عن البدن قبیحة لها ، مولمة لجوهرها، مضادة لحقیقتها ، لان حقیقتها یستدعی ان یكون لها هیئة استعلائیة قهریة علی البدن و قواه الشهویة و الغضبیة ، فاذا انقهرت عنها و انقادت و اذعنت ایاها و خدمتها فی تحصیل ماربها الـدنیة ،كان ذلك مـوجب شقاوتها و تألمها و حسرتها ، لكن كان اقبالها علی شواغل البدن ینسیها عن امر عاقبتها، ویشغلها سكرالطبیعة عن الشعور بفضیحتها ، و الان اذا زال العائق و ارتفع الحجاب و كشف الغطاء بموت البدن فیتأذی النفس بتلك الهیئات الردیة اشد الاذی ، و لكن لما كانت هذه الهیئات غریبة عن جوهر النفس و كذا ما یلزمها ، فلا یبعدان یزول فی مدة من الدهر متفاوتة حسب تفاوت العوائق فی رسوخها و ضعفها و كثرتها و قلتها ان شاء الله .

وللاشارة الی هذا ورد فی الشریعة الحقة : ان المؤمن الفاسق لایخلد فی‌النار ، و سیجیء تحقیق الكلام فی وعید صاحب الكبیرة ، و ابطال قول من ذهب الی تخلیده فی‌النار كالمعتزلة .

اما القسم الثالث فهو النقص الذاتی للشاعر بالعلوم والكمال العقلی فی‌الدنیا ، والكاسب لنفسه شوقا الیه ، ثم تارك الجهد فی كسبه ففقدت عنه القوة الهیولانیة ، و حصلت له فعلیة الشیطنة و الاعوجاج ، و رسخت فی وهمه العقائد الباطلة ، فهی الداء العیا التی اعیت اطباء النفوس المریضة عن دواه ، و هذا الالم الكائن عنها بازاء اللذة والراحة الكائنة عن مقابلها و كما ان تلك اجل من كل احساس بامر ملائم ، فكذلك هذه اشد من كل احساس بمناف حسی ، من تفریق الاتصال بالنار و تجمید بالزمهریر ، او قطع بالمناشیر ، او سقطة من شاهق ، و عدم تصور ذلك الالم فی‌الدنیا سببه ما ذكرناه ، فهذه والتی بازائها هما الشقاوة و السعادة العقلیتان المعروفتان عندالحكماء ، و نحن بصدد المثوبات والعقوبـات الحسیتین عن قـریب ان شاءالله .

الاشراق السابع

فى احوال النفوس الناقصة والمتوسطة، و سعادتها و شقاوتها المظنونتين على رأى الفلاسفة

اما الناقصة الساذجة عن العلوم كلها حتى الاوليات، فقد مر اختلاف اقوال الفلاسفة فيها، والمنقول من معلم المشائين على رواية اسكندر انها فاسدة، و على رواية سامسطيوس انها باقية، و ابوعلى بن سينا فى اكثر كتبه عول على هذا الرأى، بناء على قوة الادلة على بقاء النفس عنده، قائلا: فاذا كانت باقية و لم يترسخ فيها رذيلة نفسانية تعذبها ولا فضيلة عقلية تلذها، ولا امكن ايضاً تعطلها من الفعل والانفعال، و عناية الله واسعة، و جانب الرحمة ارجح، فلامحالة لها سعادة وهمية من جنس ما يتصور، و هذه‌الحالة لاعرية عن اللذة على الاطلاق، و لانائلة لها بالاطلاق، و لذلك قيل. نفوس الاطفال بين الجنة والنار، و اما النفوس العامية التى تصورت المعقولات الاولية و لم يكتسب شوقاً الى الحقائق النظرية، حتى يتأذى بفقدها تاذيا نفسانياً، سواء كانت نقية النفس عن رذائل الافعال الشهوية والغضبية، او فاجرة عاصية، فالفلاسفة عن اخرهم لم يكشفوا بالقول عن معاد هذه النفوس و من فى درجتها، اذ ليست لها درجة الارتقاء الى عالم الملكوت الاعلى، ولايصح القول برجوعها الى ابدان الحيوانات، ولاالحكم بفنائها لما علم.

فطائفة اضطروا الى القول بان النفوس البله والصلحاء والزهاد يتعلق فى الهواء بجرم دخانى مركب من بخار و دخان، يكون موضوعاً لتخيلاتهم ليحصل لهم سعادة وهمية، و كذلك لبعض الاشقياء فيه شقاوة.

و طائفة زيفوا هذا القول فى الجرم الدخانى و صوبوه فى الجرم السماوى، والشيخ ابوعلى نقل هذا الرأى من بعض العلماء و وصفه بانه لايجازف فى الكلام، والظاهر انه ارادبه ابا نصرالفارابى، واستحسنة قائلا: يشبه انه ما قاله حقا، و كذا صاحب التلويحات صوبه واستحسنه فى غير الاشقياء، و اما الاشقياء فليست لهم قوة الارتقاء الى عالم السماء ذوات النفوس نورية و اجرام شريفة، قال: والقوة توجههم الى التخيل الجرمى، و ليس بممتنع ان يكون تحت فلك القمر و فوق كرة النار جرم غير منخرق

هو نوع بنفسه ، و يكون برزخا بين عالم الاثيرى والعنصرى ، موضوعاً لتخيلاتهم فيتخيلون من اعمالهم السيئة ، مثلا من نيران ، و حيات تلسع ، و عقارب تلدغ، و زقوم تشرب ، قال : و بهذا يدفع مابقى من شبه اهل التناسخ، و قال تأكيداً لهذا الرأى : و لست اشك لما اشتغلت به من الرياضات ، ان الجهال و الفجر، لوتجردوا عن قوة جرمية مذكرة لاحوالهم ، مستتبعة لملكاتهم و جهالاتهم مخصصة بتصوراتهم[١٢] .

فهذه اقوال هؤلاء القوم ، و قد مر ان مبناها على عدم الاطلاع بوجود عالم محسوس اخر معلق غير مادى ، فيه معاد هذه النفوس الغير الكاملة .

الاشراق الثامن

فى ابطال ما ذكروه، والاشارة الى ما اهملوه

اما الذى قرروه من باب العقليات فى سعادة النفوس الناقصة ، فاى سعادة فى ادراك العمومات الاولية ، مثل الكل اعظم من الجزء والواحد نصف الاثنين ، بل السعادة ان كانت عقلية فبادراك بعض الحقائق الوجودية و نيل هوياتها ، و ان كانت حسية بدنية فبنيل المشتهيات الحسية و حضورها، و كذا سعادة كل قوة بحضور ما يناسبها ، و اما الذى قرروه فى المتوسطين فى السعادة والشقاوة ، فلا يخفى على من تدرب فى العلوم التى اشتغلوا بها ، ان كون جرم سماوى او عنصرى موضوعاً لتصورات نفس من النفوس ، او الة اياها لايستتم الا بان يكون لها به علاقة طبيعية ، او[١٣] لبدنها معه علاقة وضعية فان المسلوب عن العلاقتين كيف يستعمله النفس او ينسب اليه ، فاية نسبة حدثت بين الجوهر النفسانى والجرم الابداعى ، اوجبت اختصاصه بـه و انجذابه اليه دون غيره من الأجرام ، بل الى بعض من نوع ذلك الجرم دون غيره ، و انى يتصور العلاقة الطبيعية لجوهر نفسانى صورى مع جرم تام الصورة الكمالية غير عنصرى الذات ، ولا الممكن التصرف فيه لمتصرف بالتصوير والتمثيل الا لصورته الاولية الابداعية الحاصلة له لابالاستعداد ، لكن بالفيض الاولى والسبب العلوى ، و كل مادة جسمانية تصير الة لقوة

١٢ـ وحذف الخبر لعدم الحاجة اليه   ١٣ـ ان (ن م ل)

نفسانية فى تخيلها و تمثلها ، فلابد و ان يتحد بها ضربا من‌الاتحاد ، و يستكمل بها نوعا من الاستكمال ، فيخرجها من حد قوة الى حد فعل بالانفعالات والانتقالات المناسبة للتصورات ، والفلك معلوم من حاله انه لايتحرك الاحركة واحدة دورية متشابهة مطابقة لحركاته النفسانية ، الحاصلة من جهة مدبر عقلى و معشوق علوى يتشبه به اناً فاناً ، لايمكن ايضاً ان يكون ذلك من قبيل المراة التى لها نسبة وضعية الى ما يتصرف فيه النفس بالطبع، كما نحن نتخيل صورة فى المراة الموضوعة التى لها نسبة وضعية الى الة ابصارنا ، و مراة مبصراتنا بالطبع ، فليس الجرم الفلكى و ما يجرى مجراه بالقياس الى نفوسنا عند المفارقة عن ابداننا ،كاحدى هاتين المراتين ، كيف والسماويات عندهم ليست مطيعة الا لمباديها الاولى ، و هى ملائكة السموات المحركة لها بامرالله ، ولاقابلة للتأثيرات الغريبة لامتناع صورها عن ذلك ، ولعدم تطرق القواسر اليها ، و ليست لهذه المفارقة عن الابدان ابدان اخرى ليتصور بينها و بين الاجرام العالية علاقة وضعية بسببها يصير هى‌لها ،كالمراة الخارجية ليشاهد فيها من‌الاشباح الخيالية ، ثم على تجوز كونها كالمراة .

(كيف يكون المثل التى هى تخيلات الافلاك عين تخيلات هذه النفوس) [14] ولايلزم من ذلك ان المرتسم فيها من‌النفوس [15] و هى ليست الاتصورات الافلاك مشهودة لتلك النفوس المفارقة ، و تلك التصورات امور حقة متصورة ، و ليست هى متصورات تلك النفوس ، سيما الاشقياء المعذبون منهم ، على اعتراف هؤلاء بان الصورة المولة اياهم قد حصلت من هيئاتهم الردية و عقائدهم الباطلة ، والحاصل فى تلك الاجرام لصفاء قوابلها وشرف مباديها ليست الا صوراً لذيذة نقية مطابقة للواقع ، فلا يستتم ما قالوه ولا يستقيم ما قرروه من كون جرم فلكى مما يتعذب به الاشقياء ويتنعم به‌السعداء، كما لم يجز ذلك فى جرم فلكى ، فكذلك لايجوز فى جرم ابداعى غير منخرق ، منحصر نوعه فى شخصه ، لان حكمه حكم الفلك فى ان له طبيعة

۱۴ـ بين الهلالين ليس فى النسختين (م و ل)

۱۵ـ النقوش (المطبوعة)

خامسة ممتنعة الحركة المستقيمة ، سواء سمى باسم الفلك ام لا ، ولعل عدد نفوس الاشقياء عندهم غيرمتناه[١٦] فكيف يكون جرم دخانى متناه موضوعاً لتصرفاتها و تصوراتها الادراكية الغير المتناهية ، اذ لااقل من ان يكون فيه بازاء كل تعلق و تصور قوة و استعداد غير ما بازاء غيره ، فيحصل فى جرم واحد استعدادات غير متناهية مجتمعة لهيئات غير متناهية كذلك ، و هذا هو معلوم الفساد .

فهذا ما ادت اليه افكار اولئك المشهورين بالحكمة والفضيلة فى باب اشكال المعاد وحشر الاجساد ، و ليس المخلص من ذلك الا بالتشبث باذيال الانبياء ، المؤيدين بالوحى والانباء ان شاء الله .

١٦ــ غير متناه عندهم (ن م ل)